كتاب

وَصْفُ المَطَرِ وَالسَّحَابِ

وما نعتته العرب الرُّوَّادُ من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزديّ

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي علّم الإنسان سحر البيان ، وعلّم الأعرابَ وصف السحاب ، والصلاة الطيّبة على من بُعث في العرب الأميّين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ؛ ويكونُ لهم وللعالمين في هذه الحياة هدى ورحمةً إلى يوم الدين .

أمّا بعدُ فإني كنت قد وصفت في مجلة مجمعنا العلمي من ذخائر قبة الملك الظاهر كتاب (وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّوّاد من البقاع) من تصنيف أعلم الشعراء وأشعر العلماء وإمام البصريين في زمانه الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ – ٣٢١ هـ) ، وذكرت أن في كتابه هذا ثلاثين حديثاً منها سبع وعشرون في المطر والسحاب ، وثلاثة أحاديث في الرّوّاد ، والحديث الأول في نعت الرسول العربيّ المبين للسحاب ، وهو في الأمالي والأزمنة والأمكنة للمرزوقي بهذه الرواية الدريديّة عينها .

وليس في أمالي القالي من هذه الأخبار غير الحديث النبوي وخبرين في السحاب ، وفي الأزمنة والأمكنة ومخصّص ابن سيده وديوان المعاني لأبي هلال وغيرها بعض الأخبار وأكثرها قصار أو أقوال للأعراب في وصف الغيث والسحاب ، وقد جمعت مختارها في ذيل الكتاب اتمّ فائدته ، وشرحت ما غفلَ المصنّف أو الناسخ عن شرحه من غريب اللغة .

ومن المعاصرين مَن ذهب إلى أن الهمذانيّ قد وضع مقاماته على غرار ما ورد في الأمالي عن الأعراب في وصف السحاب مما رواه القالي عن شيخه ابن دريد ، وأنه من إنشائه ، وكأنهم يرون أن من العسير ارتجال أوصاف السحاب بمثل هذا البيان والاتقان ، على أن الأعراب في مظانّهم ، وليس بينهم وبين السماء حجاب ، يكثرون بطبيعتهم وحاجتهم إلى الغيث من التحديق في السماء ، فأمسوا بطول الملاحظة والتجريب يميّزون بين البرق الخُلّب والبرق الصادق المغيث ، وبين العارض الممطر الذي يُترع الغُدران والكهام الذي لا يبلّ القيعان ، ولقد رأيت أيام فراري إلى البادية (١) أن صبيان الأعراب لكثرة ما يسمعون من آبائهم من أوصاف السحب

(١) في الحرب العالمية الأولى من بني جمال الصفاح ، وكان معي من شهداء شباب العرب : الجلال البخاريّ والأمير عارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط وعبد الغني العريسي وأحمد مريود رحمهم الله .

قد حفظوا عن ظهر قلب تلك العبارات الوصّافة ، ومن عرف البوادي والفيافي مثلي وشافـهَ الأعرابَ وسمع ألفاظ صبيانهم لا يَرى ما ينقل ابن دريد عن غلمان الأعراب عسيراً عليهم ولا كثيراً ، ولا يزال الأعراب في زماننا هذا في بوادي الشام ونجد والعراق واليمن وعُمان من أبرع الناس في معرفة أنواع السحاب . وفي المطر منه والكهام ، وفي معرفة أشكال البرق الخلب والذي يخلفه الحيا ، والديّمة التي تحيا بهـا الأرض شهرين أو أربعة أو نصف عام أو عاماً ، وما يبلغ الماء عمقَ شبر أو شبرين أو ذراعاً ، ويعرفون أسماء المطر من الطش والرش والسحّ وأسماء الغيام والقزَع والرّكام .

مخطوطة الظاهرية . — لعلّ هذه النسخة الخطية هي أجلُّ نسخة في خزائن الأرض ، فقد ذكر كاتبها الحسين بن عليّ بن محمد بن علي الكاتب أنه كتبها سنة ٥٥٤ للهجرة من مخطوطة منقولة عن نسخة مقروءة على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيّرافي ، وفيها خطّه وخبر قراءتها عليه ، ويظهر من صفحة العنوان أن هذا الكتاب قد وقف على المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، ثم انتقلت إلى خزانة المدرسة العمرية المشهورة في الصالحية ، ومنها انتقلت قبل أن تبلغها أيدي اللصوص إلى قبة الملك الظاهر .

وممّا يدل على جلالة هذه النسخة أن على صفحة العنوان إجازة بخط الإمام عليّ بن عبد الرحيم السُّلَمي الرّقي اللغوي (٥٠٨ — ٥٧٦ هـ) المعروف بابن العَصّار ، قال الصفديّ في الوافي بالوفيات : إنه انتهت إليه رئاسة معرفـة اللّغة والعربية ، قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي (صاحب المعرّب) ، وتخرّجَ به أمثالُ العكبريّ شارح المتنبي ، ويظهر أنه اعتمد في شرح المتنبي على شيخه السّلمي الذي قالوا إنه كان عارفاً بديوان المتنبي علماً ودرايةً وقرأ عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر ، ويظهر أيضاً أنّ صاحب الاجازة السّلمي قرأ هذا الكتاب بهذه النسخة

على شيخه موهوب الجواليقي ، فإن كثيراً من التصحيح والتوضيح في الهوامش مبدوء بعبارة (قال موهوب) وبخطّ وحبر واحد .

وعلاقتي بهذه المخطوطة قديمة العهد ترجع إلى ربيع الحياة ومرحلة طلب العلم ، وعنيت يومئذ أن أوفق إلى نشرها ، وعاقت عوائق الدهر حتى حملني حبّها على وصفها وكلّفت بتحقيقها أخيراً ، ولم أفز بصورة من مخطوطة دار الكتب المصرية ، ولعل تبدل الأحوال بالانفصال كان من الحوائل بيننا وبين معهد المخطوطات بالقاهرة ، ولكني استعنت بخزانة كتب المجمع العلمي وفيها مجموعة (جرزة الحاطب) التي نشرها بليدن المستشرق وليام رايط الانكليزي سنة ١٨٥٩ ، وهي تشتمل من النوادر على كتابين لابن دريد الأول صفة السرج واللجام ، والثاني صفة السحاب والغيث وأخبار الروّاد ، وعلي كتاب تلقيب القوافي لابن كيسان ، وعلى ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابي صنعة أبي سعيد السكري وعلى مقطعات مَراثٍ لبعض العرب رواها ثعلب عن ابن الأعرابي ، وكانت هذه النوادر المخطوطة في مكتبة جامعة ليدن ، وقد اهتممت بكتاب الغيث والسحاب الذي هو طلبة التحقيق ، وتبيّن لي بعد درس هذه النسخة الليدنية أنها منقولة من نسخة تغلب عليها الصحّة وقد أجاد الناشر عمله في تحقيقها ، وبين النسختين الليدنية والدمشقية اختلاف قليل ، تظهر نسختنا معه أنها أصحّ وأسلم ، وكيف لا تكون كذلك وهي منقولة من نسخة مقروءة على الإمام السيرافيّ ولعلّ شرحه لكتاب سيبويه أجلّ شروحه وهو تلميذ ابن دريد ، والظنّ الغالب أنه قرأ هذا الكتاب على شيخه مع ما قرأه عليه من كتبه ، وعلى هذه النسخة المقروءة عليه خطّه ، وفي هوامشها تعليقات بخطّ موهوب وهو أبو منصور الجواليقي شيخ علي بن عبد الرحيم الرّقي ، وهو من أئمة اللغة في عصره وذكرنا أنه كتب عليها إجازة لتلميذه الرئيس الأجل أحمد ابن محمد بن الضحّاك ، فهو قد قرأ نسختنا هذه على الإمام الجواليقي وأقرأها لتلميذه ابن الضحّاك ، وفي الصفحة ١٨ من نسختنا ما يدل على

أنها قوبلت بنسخة الكندي"، ولذلك كله كانت نسخة الظاهرية ولله الحمد لا تحتاج الى معارضة فهي من أجل" ما في خزائنها من المخطوطات صحة" وضبطاً وإتقاناً .

وصف المخطوطة الظاهرية . — إن هذه النسخة جليلة بمؤلفها وموضوعها وبالأصل المنقولة منه ، وبأئمة الائمة الذين قرأوها وأقرأوها ، وبقدم خطها لأنها من القرن الخامس ، وقد بلغ عمرها ٩٢٧ سنة ، وهي تتألف من ٩٨ صفحة ، ومسطرتها (١٤٫٥ × ١٣) ، وفي الصفحة سبعة أسطر ، ومعدل السطر خمس كلمات ؛ أمّا الورق فمصفر" متين لأنه مصنوع من القطن وخالٍ من مادة الخشب ، ولذلك صبر على حوادث الأيام أكثر من تسع مئة عام .

أمّا اسمها المكتوب على صفحة العنوان فقد ذكر مرتين : بخط دقيق (المطر والسحاب) وتحته كلمة (الرواد) بخط جليل ، ومن تحتها : (عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولم يقتصر هذا الاختلاف في الاسم على نسختنا هذه ، فقد كثر التصحيف فيه والاختلاف فهو في الفهرست وإنباه الرواة (رُواة العرب) بدل روّاد العرب ، وعند السيوطي وابن خلكان (زوّار العرب) ، وفي نسخة دار الكتب المصرية (المطر والسحاب) كالاسم المكتوب على نسختنا ، وهو في النسخة الميدنية (السحاب والغيث وأخبار الروّاد وما حمدوا من الكلأ) ، وهو في الوافي بالوفيات للصفدي (المطر والرُّواد) ، وقد جاء بين كتب ابن دريد التي سردها الصفدي اسم (زوّار العرب) ومن الناشرين للكتب من يرى أنه تصحيف (رُوّاد العرب) ، قد يكون هذا صحيحاً ، وقد يكون هنالك لزوّار العرب كتاب لابن دريد ، اذكر الصفدي لهذين الكتابين ، وينبغي لنا البحث عن ذلك ، وهو السبب الذي من أجله ارتبنا فيما كتبه الناسخ على صفحة العنوان . ورأينا دفعاً للخلاف والارتياب أن نسمي هذا الكتاب بما سماه به ابن دريد في خطبته وهو (وصف المطر والسحاب وما نعتته العربُ الرّوادُ من البقاع) .

ترجمة المصنّف

(٢٢٣ — ٣٢١هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد بن عَتاهية بن حَنْتَم بن حسن ابن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سَلَمة بن حَنْتَم بن حاضر بن حنتم ابن ظالم بن حاضر بن أسد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دَوْس ابن عَدنان بن عبد الله بن زهير بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزديّ العُماني البصريّ اللغويّ .

قال أبو بكر بن دريد في كتابه الاشتقاق (٢٩٢) : ودُريد تصغير أدرد ، والأدرد هو الذي تحاتت أسنانه ، وجده حاميّ أول من أسلم من آبائه ، قال ابن النديم وهو (جدّه) منسوب إلى قرية من نواحي عمان يقال لها حَماما ، ويقول إمام عمان المجاهد غالب بن علي الثائر على الاستعمار نصره الله : إن ابن دريد حديديّ ، وبنو حديد قومه ما زالوا في (دُما) المعروفة اليوم بالسّيب من الباطنة ، وبعضهم بوادي العين من أودية بني هُناءة من الأزد ، ولا يزال بطون الأزد كبني حديد واليحمد والعتيك وخروص وغيرهم منتشرين في عُمان ، ونبغ منهم الأئمة والقضاة والرؤساء .

وبعد تمصير البصرة وازدهارها بالحضارة واشتهارها بالتجارة ، وقد اشترك العُمانيون في تمصيرها ، أخذوا في انتجاعها ومنهم أسرة ابن دريد فكانت رحلتهم دواليك بين عمان والبصرة ، والبصرة وعمان .

ولادته ونشأته .— قال الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغويّ قال ابن دريد : وُلدت بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين . وذلك في خلافة المعتصم ، وقال الكمال ابن الأنباريّ : ذكر ابن شاذان

أن ابن دريد مات ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة في السنة التي خلع فيها القاهر بالله أبو منصور محمد بن المتضد ، وقال أبو الحسن الدريدي : ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية في ظهر سوق السلاح ووافقه المرزباني والتنوخي وغيرهما .

دراساته . — لقد ولد ابن دريد بالبصرة في سكة صالح ، وفيها عاش طفولته الأولى ، وفي أحد كتاتيبها تعلّم مبادىء القراءة والكتابة بالقرآن وأصول الدين والحساب ، ويقول المرزباني والخطيب البغدادي وغيرهما : إنه نشأ بعُمان ، فلعله ذهب مع عمّه الحسين بن دريد وغيره من أقربائه إلى صُحار (١) قصبة عُمان الساحلية وقد نزلتها أسرته للتجارة ، وفي صُحار هذه نشأ وأيفع ، ثم عاد مع مربّيه الحسين بن دريد عمه إلى البصرة ليتم فيها دراسته الاعدادية ، فقرأ فيها على عمّه وهو معلمه الأول ، ومعلمه الثاني هو أبو عثمان الأشنانداني (٢) ، وقد اشترك مع عمه في تربيته وتعليمه ، وساعده على النجاح في دراساته قوّة حفظه التي ظهرت في صباه دلائلها منها أن معلمه الأشنانداني بينما كان يروّيه يوماً معلقة الحارث بن حلزة اليشكري إذ دخل عليه عمه الحسين بن دريد ، فقال له : إن حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ، ثم دعا بمعلّمه أبي عثمان ليأكل معه ، وتحدّثا بعد الأكل ساعة ، وفي خلال هذه المدة كان ابن دريد قد حفظ

(١) قال ياقوت في بلدانه : وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها ... والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة ، و (صحار) دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصدّيق في سنة ١٢ صلحاً ، واليها ينسب محمد بن زوزان الصحاري العماني الشاعر .

(٢) وقد نشرت له جمعيتنا الرابطة الأدبية بدمشق كتابه معاني الشعر .

ديوان الحارث بن حلّزة بأمره ، وعرّف عمّه ذلك فاستعظمه ، واختبره في حفظه ، فوجده صادقاً فأعطاه ما كان وعده به من العطاء .

وقال أحمد بن يوسف الأزرق (١) : إنه لم يُرَ أحفظ منه ، كان يُقرأ عليه دواوينُ العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ، ولو لا قوة حفظه لما استطاع أن يملي كتاب الجمهرة من أوّله إلى آخره حفظاً ، وهو ابن أربع وسبعين سنةً لا يستعين بشيء من الكتب إلاّ في باب الهمزة . فقد طالع له بعض الكتب .

ظهرت عليه في صباه مخايل النجابة ، وفي شبابه آيات النبوغ والبراعة مما أهّله ليأخذ عن أمثال أبي حاتم السجستاني والتوّزي والرياشي والزياديّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ وغيرهم ، فبلغ أمنيةَ المتعلّم من اللغة والنسب والأدب ، وأصبح من أكابر علماء العربية والعرب .

رحلاته . — لم يتفق المؤرخون في عددها فقال المرزبانيّ : نشأ بعمان ثم تنقل في جزائر البحر وفارس ثم ورد مدينة السلام ؛ وقال ابن النديم (٢) : أقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة ابن عمر فسكنها مدة ، ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صار إلى بغداد ؛ وقال ياقوت (٣) : ثم صار إلى عمان ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى فارس ثم قدم بغداد ، قلت : وقد فرّ في فتنة الزنج سنة ٢٥٥ هـ مع عمه الحسين بن دريد إلى عمان ، وفي قصبتها صحار كانت أسرته الحديدية الازدية ، وكان عمره يومئذ اثنتين وثلاثين سنة ، إذ ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ للهجرة ، قالوا وأقام فيها اثنتي عشرة سنة ، ومما لا يحتاج إلى بينة أنه قضى هذه المدة في العلم والتعليم .

(١) السبكي ١٤٥/٣ ، والأدباء ٤٨٥/٦ .
(٢) الفهرست لايبزغ ٦٠ .
(٣) الأدباء ٤٨٤/٦ .

وفي إقامته الأخيرة مع عمه بالبصرة قلّد المقتدر بالله عبد الله بن محمد ابن ميكال الأعمال بكور الأهواز فطلب ابن دريد لتأديب ابنه أبي العباس اسماعيل لبعد صيته واتساع شهرته بالعلم والأدب ولغة العرب ، فلبّى ابن دريد الطلب وأقام مع الوالد وابنه بالأهواز نحو ست سنين ، وحصل لابن دريد جاه عظيم بعد أن قلّده عبد الله بن ميكال ديوان فارس ، فكانت كما يذكر التاريخ لا تصدر كتب فارس إلاّ عن رأيه ، ولا ينفذ أمرٌ إلاّ بعد توقيعه .

ويظهر من رواية العمانيّين التي لا يزال يرويها الآباء للأبناء بسند متصل إلى يوم الناس هذا ، أن صلة ابن دريد بابني ميكال كانت وثيقة ، ولعلها كانت قبل أن قلّد المقتدر بالله عبد الله بن ميكال كور الأهواز ، وأن تلك الصلة الوثقى كانت السبب الذي من أجله اختار ابن ميكال أبا بكر ابن دريد لتأديب ولده اسماعيل ، ولتقليده ديوان فارس .

وحدثني صديقي السيامي العماني بدمشق [1] ، بالقصة الجميلة التالية ، وقد خلت منها عندنا كتب التاريخ ، فآثرت إثباتها لأنها تجلو لنا من حياة ابن دريد صفحة بيضاء ، وجانباً من كرمه وسموّ أخلاقه ، وخلاصة هذه القصة على إحدى الروايتين :

انّ الأميرين الميكاليّين خرجا ذات يوم بسفينتها من البصرة للنزهة في بحر الخليج العربيّ فهبّت عليهما رياح عواصف ، وسحّت ديمٌ من الأمطار ، ولم يستطيعا أن يلوذا بالسّواحل ، فلبثا في السفينة على ظهر البحر العجّاج أيّاما إلى أن بدت لهما مدينة صحار العمانية ، وبعد أن نزلا إلى مرفئها دلّهما الأهلون على دار الضيافة الدّريدية ، فرحّب بهما ابن دريد كل

---

(١) هو الشيخ سليمان السالمي ممثّل إمامة عمان بدمشق ، وكتب لي بنحو ذلك والده العلاّمة الشيخ محمد السالمي ابن علاّمة عمان ومؤرّخها الشيخ نور الدين عبد الله السالميّ ، وهذه القصة مدوّنة في كتب العُمانيين ، وكم أدّى عدم التدوين إلى ضياع كثير من الحقائق والأخبار .

الترحيب وأكرمها إكرام العرب للضيفان ، وهو لا يعرفها ، ولم يعرّفاه بنفسيها ، وكان الوقت شتاءً والمطر مستمراً ، فلم يجد حطباً للوقود ليطبخ لهما الطعام لأن الحطب كان بالماء ريّان ، فكان يأخذ الأثواب من التجّار ويغمسها في الزيت ليوقد بها نار القِرى .

ولما رأى الضّيفان الميكاليّان ذلك قال الوالد لولده : هذا شيء لا يحتمله انسان ، ولا ينبغي للضّيف أن يكون بلا ومؤذياً ، فاستأذنا بالانصراف وألحّا على ابن دريد في الرّجاء حتى أذن لهما ، فودّعاه ، وكتبا له عنوان مقرّهما وكانا على الأهواز ، وكان من قدر الله المحتوم أن ضاقت به الحالة ، وأضاعته الأيام ، وكان يأبى أن يتكسّب ببلاغته وشعره ، وقد رأى أخيراً أن يزورهما بعد نفاد الصبر ليستعين بهما على صروف الدهر ، فرحل إليهما وحلّ على الأمير عبد الله الميكالي ضيفاً ، ولبث في ضيافته نحو شهر ، فأكرمه كما يكرم سائر الناس ، ولم ير منه ما كان يرجوه من الإكرام والإحسان ، ولكن الأمير الميكاليّ كان قد جهّز لمنزله بصحار سفينتين شراعيتين ، وكتب لأهله بلسان ابن دريد كتاباً يأمرهم به بأن يفتحوا دار الضيافة كعادتها ، فامتثل أهلوه الأمر ، وعاد الضيوف والعفاة إلى قصدها في غيبته ، ولا علم لابن دريد بذلك .

وضاق صدر ابن دريد واستأذن الأميرين بالرجوع الى بلاده ، وفي نفسه أنهما لم يقوما ببعض ما يستحقه ويأمله ، وأنه سيعود خائباً كمن حلّ بوادٍ غير ذي زرع ، وألحّ على الأميرين مستأذناً . ولما أعجزهما بإلحاحه جهّزاه بسفينة مملوءة بما يحتاج إليه ، ولم يخبراه بشيء مما فعلا ، وعهدا إلى ربّان السفينة أن لا يخبر ابن دريد بأن جهاز السفينة له بأمره ، وأقلعت السفينة أخيراً بابن دريد ، وسأل الربان أن ينزله من السفينة إلى

البر ليلاً لكيلا يشمت بسوء حاله المدوّ من أبناء بلده ، فامتثل الربان أمره وأنزله ليلاً كما أحبّ ، وسأله ان يعود إليه غداة غد إلى السفينة .

نزل ابن دريد ليلاً ، ورأى لسوء المنظر وكآبة المنقلب أن لايذهب إلى منزله ، ولجأ إلى بيت عجوز فاستضافها ، وسألها أن تأذن له بالعشاء في منزلها ، فعجبت العجوز لذلك وقالت له أتترك بيت ابن دريد ، وتطلب من مثلي العشاء ! فسألها ابن دريد قائلاً : ومن أين لابن دريد أن يقبل ضيفاً . وقد أفقره الضيفان ؟ فقالت له العجوز : إن ابن دريد بعد سفره كان يجهز لمنزله في كل شهر سفينة مملوءة بالأرزاق ، وأن دار ضيافته اليوم أوسع مما كانت عليه بالأمس ، وعاد ابن دريد بما سمع من العجوز إلى منزله فوجد ما أدهشه ، وما هو فوق ما كان يرجوه من الأميرين ويأمله وفي الصباح زاره ربّان السفينة وأخبره بأن ما في السفينة من وسق وأرزاق هي لدار الضيافة ، وكافأهما ابن دريد بمقصورته الخالدة التي منها : (١)

إنّ العراقَ لم أفارق أهلَهُ عن شَنَأٍ أصدّني ولا قِلى

إن كنتُ أبصرتُ لهم من بعدهم مثلاً فأغضيت على وَخْزِ السَّفا

حاشا الأميرين اللذين أوفدا عليّ ظلاّ من نعيم قد ضفا

تلافيا العيشَ الذي رنّقه صرف زمانٍ فاستساغ وصفا

وأجريا ماءَ الحيالي رَغَداً فاهتزّ غصني بعد ما كان ذوى

إنّ ابنَ ميكال الأمير انتاشني من بعدما قد كنت كالشيء اللقا

ومدّ ضَبعيّ أبو العبّاس من بعدانقباض الذّرع والباع الوَزى

وأعطاه الأمير عبد الله الميكالي عليها عشرة آلاف درهم ، وحكي عن تلميذه أبي العباس اسماعيل أنه أعطاه ثلاثمائة دينار . ولم تصل يده إذ ذاك إلى أكثر من ذلك .. واعتنى المتقدمون من العلماء بشرح الدريدية فبلغت

(١) والبيتان الأوّلان هما لسان حالي بعد فراق العراق وأبنائي به الأعزّاء .

نحو خمسة وثلاثين شرحاً ومن شرحها من المتأخرين من أعضاء مجمعنا العلمي العربي صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك ولم يزل شرحه مخطوطاً رحمه الله .

رحلته الى بغداد . — ولما مات عبد الله بن ميكال لم يقبل اسماعيل العمالة فرجع إلى خراسان ونيسابور ، ورحل ابن دريد إلى بغداد سيدة البلاد ومدينة السلام ، ودار العلماء والأدباء ودخلها شيخاً سنة ٣٠٨ ه وعمره خمس وثمانون سنة ، وعلم المقتدر بفضله فأجرى عليه مشاهرة قدرها خمسون ديناراً ولم تزل عليه جارية حتى انتقل إلى دار الرحمة والقرار .

أخلاقه . — منها سخاؤه فقد كان لا يُليق درهماً ولا ديناراً وقد ورث من آبائه هذا الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم ، وكان مع سخائه ظريفاً ، ومن ذلك (١) أن سائلاً سأله شيئاً ، ولم يكن عنده سوى دَنّ من نبيذ فوهبه له ، فقال له بعض غلمانه : أتتصدّق بالنبيذ ؟ ثم أهدي له عشرة دِنان من النبيذ فقال لغلامه : أخرجنا دنّاً فجاءنا عشرة !

ومن خُلقه الحلمُ المبطّنُ بالسخر فقد أخبر أبو أحمد العسكري (٢) قال : كنا في مجلس ابن دريد ، وكان يتضجّر ممّن يخطىء في قراءته ، فحضر غلام وضيء فجعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد صابر عليه ، فتعجّب أهل المجلس فقال رجل منهم : لا تعجبوا فانّ في وجهه غفران ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال له : هاتِ يا مَن ليس في وجهه غفران ذنوبه !

---

(١) الوفيات ٤٩٨/١ .

(٢) الأدباء ٤٩١/٦ .

ومن خُلقه إكرامه لطلاّبه الأذكياء المجدّين منها ما حكي عن السيرافي [١] قال : حضرت مجلس ابن دريد ، ولم يكن يعرفني قبل ذلك ، فجلست فأنشد أحد الحاضرين بيتين يُعزيان لآدم :

تغيّرت البلاد ومَن عليها ... فوجهُ الأرض مُغبرٌ قبيحُ

تَغيّر كلُّ ذي حسنٍ وطيب ... وقل بَشاشةَ الوجهُ المليحُ

فقال ابن دريد : هذا الشعر قد قيل قديماً ، وجاء فيه الاقواء ، فقلت له : إنّ له وجهاً يخرجه عن الإقواء ، نَصبَ (بشاشةَ) وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين ، فيكون بهذا التقدير نكرةً منتصبةً على التمييز ، ثم رُفع (الوجه) بإسناد (قلّ) إليه فيصير اللفظ « فقلّ بشاشةَ الوجهُ المليحُ » قال فرفعني حتى أقعدني بجانبه .

مذهبه . — ذهب ياقوت (— ٦٢٦ هـ) وغيره إلى أن ابن دريد كان من الخوارج فقال [٢] : إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج إلاّ أنه لا يُرى على ابن دريد أثرُ الخروج بل يشهد شعره بمخالفته للخوارج » قلت : ومن شعره الذي أشار إليه في ديوانه (٧٣) :

يا لقومي لقد بغى العبد مومي ... والعَسيف المدقّع العُضروطُ

سمتِ الأزدُ بالحتوف إلى الأز ... دِ ومومى مُسلّمٌ مغبوطُ

فابلغوا الجَهد أو فموتوا كراماً ... ليس يغني التّبريقُ والتخطيطُ

أترى الأزدَ يقسم الذلّ فيها ... خارجيٌّ وغاربٌ عمروطُ

ثم ترضى بذلك الأزدُ أن تر ... ضَى ، فلا ريشَ سهمها المَروطُ

---

(١) السبكي ٢/١٤٥ .

(٢) البلدان في ذكر عمان ، والمسالك لابن حوقل ٣٢ ورحلة ابن بطوطة .

ويرى صديقي العماني أن ابن دريد لم يَعنِ بالخارجيّ أحد الخوارج فانه يعني الغريب الخارج عن قومه ، وأرى أنه أراد بالخارجيّ المدلول اللغويّ ، وابن دريد من أئمة اللغة ، فقد جاء في اللسان : والخارجيّ الذي يخرج ويشرُف بنفسه من غير أن يكون له قديم ، وعلى ذلك يكون ياقوت قد اخطأ في فهم الخارجيّ ، وفي قوله « إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج » ذلك أن أهل عمان ما كانوا خوارج إلاّ على غلاة الخوارج كالأزارقة والصُّفرية والنجدية ، فهم إباضيّة غير غلاة في خروجهم ، ولا يكفّرون أحداً من أهل القبلة ولا يعترضونه ولا يقاتلونه ، ومذهبهم الإباضيّ من مذاهب أهل السنة فهم متمسكون بالكتاب والسنة كل التمسك ، ومن اطلع مثلي على مسندهم الصحيح للامام الربيع ابن حبيب ، وجلّ أحاديثه في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ، علم صحة قولي ، وفي شرح هذا المسند الصحيح للنور السالميّ استشهاد بأقوال أئمة المذاهب الأربعة الموافقة لمذهبهم ، وقد رثى ابن دريد الإمام الشافعيّ فعده السبكيّ من الشافعيّة ، جمع الله شمل العرب والمسلمين ونصر العمانيّين على المستعمرين .

سياسته الحكيمة . — لا غرو إنْ حَذقَ ابن دريد علمَ السياسة بعد أن قضى في ديوان فارس بالأهواز نحو سبع سنين مارس فيها الأمور وعالج قضايا الإدارة ، وعرف طبائع الناس ، ويدلّ على بعد نظره السياسيّ ومبلغ تأثيره في تصريف الأمور ، وقوّة شعره الحماسيّ في تأليب عشائر الازد من قومه على أعدائهم الذين ما أوقعوا بهم في وقعة الروضة

إلاّ بتفرقهم وتخاذلهم (١) ، وكان من تأثير شعره أن جمعت عشائر الأزد شملها ، وحملوا على أعدائهم حملة منكرة أخذوا بها ثأرهم وشفوا منهم ما في صدورهم من غلّ ، وفي ديوانه من شعره السياسيّ المتعلق بشؤون عمان الداخلية (٢) ما يدلّ على نظره الثاقب وسياسته الحكيمة ، ولا يزال من أقرباء ابن دريد وعشائر الأزد مَن يحفظ هــذا الشعر الحربيّ ويفاخر بابن دريد .

مرضه ووفاته . — وحين كان بفارس سقط من منزله مرّةً فانكسرت ترقوته ، وحين بلغ من عمره ٩٦ عاماً عرضَ له فالج فسقي له الترياقَ فبرىء منه ، وعادَ إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ، ثم بعد حول تناول غذاء ضاراً فعاوده الفالجُ فكان يحرّك يديه حركةً ضعيفة وبطلَ من محزمه إلى قدميه فكان إذا دخل عليه داخل ضجّ وتألّم ، قال أبو علي القالي : فكنت أقول في نفسي : إن الله عاقبه بقوله في مقصورته حين ذكر الدهر :

مارست مَن لو هوتِ الأفلاك من جوانب الجوّ عليه ما شكا

وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة فيرد بأسرع من النَفَس بالصواب ، وقال مرة وقد سألته عن بيت شعر : لئن طَفِئت شحمتا عينيّ لم تجد من يشفيكَ من العلم يا بنيّ !

(١) الروضة موضع بعمان حصلت فيه وقعة مشهورة بين الأزد اليمانية ونزار المدقانية .

(٢) انظر تحفة الأعيان (١/١٩٤) وما قاله ابن دريد في وقعة الروضة التي أذلت قومه الأزد وأقضت مضجعه وأجرت مدمعه .

وقال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه جاوبني بأن قال : يا بنيّ ، حالَ الجريضُ دون القريض ، وكان كثيراً مما ينشد في ضعفه ما يدلّ على توبته مما اتهموه به :

فواحزَنا أن لا حياةَ لذيذةٌ ... ولا عملٌ يَرضى به الله صالحُ

ومما رثاه به بعضُ البغداديين ، وقيل (١) هو أبو علي القالي البغداديّ :

عليكَ أبا بكرٍ سلام ورحمةٌ ... بها في جنان الخلدِ أنتَ مخلَّدُ
لِتَبكِكَ أبكار المعاني وعونُها ... وغُرُّ القوافي حين تُروى وتُنشدُ
لأنشَرتَ بالعلم الخليلَ فخلتنا ... نُشاهدُه إنْ ضمّنا منك مَشهدُ
وجالستنا بالأصمعيِّ ومَعمرٍ ... وأوجدتنا ما لم يكن قبلُ يوجَدُ
وخلنا أبا زيد لدينا مُمثَّلا ... وأنتَ بفضل العلم أعلى وأزيدُ
وشاهدتنا بالمازنيِّ وعلمه ... وما غاب عنا إذ حضرتَ المبرِّدُ
وكنتَ إماماً في الروايات كلِّها ... يُضاف إليك الصّدق فيها ويُسنَدُ
توحّدتَ بالآدابِ والعلمِ والحجى ... فأنتَ بحسن الذكر منها مُوحّدُ
لقد شملت فيك الرزيّةُ يَعرُباً ... ولم يخلُ منها فيك مَن يتمعدَدُ
فما منكَ مُعتاضٌ ولا عنكَ سلوةٌ ... نظيرُكَ معدومٌ وحزني مُؤبّدُ

ومات ابن دريد يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلةً خلت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد وعمره ثمان وتسعون سنة ، ويوم مات ابن دريد مات الجُبّائي أيضاً فيه فقال الناس : اليوم ماتَ علمُ اللغة والكلام .

(١) لقد وقع في نفسي أنه أبو علي القالي البغداديّ ثم رأيتُ عالم الهند صديقي الميمني في سمطه (١٠٦/٢) يشتبه مثلي في ذلك ، ولكنه ظلّ في شك مريب .

مراثي الشعراء . — لم نعرف جميع من رثاه بعد وفاته ، وممن رثوه جحظة البرمكي بقوله :

فقدتُ بابن دريد كل فائدةٍ لما غدا ثالثَ الأحجار والتُّربِ
وكنتُ أبكي لفقد الجودِ منفرداً فصرتُ أبكي لفقدِ الجُود والأدبِ

ابن دريد في الميزان

كل ذي نعمة مالية أو علمية محسود ، ولذلك كثر في ابن دريد المادحون والقادحون والمدافعون ، فمن المادحين محمد بن رزق الأسدي (١) فقد ذكر أنه كان يقال : إن أبا بكر بن دريد (أعلم الشعراء وأشعر العلماء) وذكره أبو الطيب اللغوي في مراتبه بقوله : ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين ، كان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد ، وتصدّر ابن دريد في العلم ستين سنة .

ومن القادحين الدارقطني الذي سأله حمزة بن يوسف عن ابن دريد فقال : تكلّموا فيه ! وقيل : كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر بباله ، والدارقطني من المحدثين ، ومن اللغويين نفطويه وأبو منصور الأزهري الذي يقول في مقدمة تهذيبه : وممّن ألّف في زماننا

(١) نزهة الألباء (٣٢٣) .

الكتب فرمي بافتعال اللغة وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها أبو بكر ابن دريد صاحب الجمهرة ، وقـد حضرت في داره ببغداد غير مرّة فرأيته يروي عن أبي حاتم الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة يعني نفطويه عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته ، وقد تصفّحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أره لا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيّدة ، وعثرت من هـذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها في كتابي في مواقعها لأبحث أنا وغيري عنها .

ومن المدافعين عنه الإمام السيوطيّ في مزهره (٥٨/١) ، وقوله يغنينا عن دفع ما ظُلم به ابن دريد من حسّاده ، وقد قال : معاذ الله ! هو بريء مما يُرمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه في روايته ، ولا يُقبل طعن نفطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، وقد تقرّر في علم الحديث أنّ كلام الأقران في بعضهم لا يقدح .

وإنّما شنّع عليه التهمة بشرب الخمر مخالفوا مذهبه من الشافعية ، فقد كان ابن دريد ممن يرى رأي أهل العراق في النبيذ لا الخمر ، ثم إنه أية علاقة في التحقيق العلمي بين عادة الانسان وبحثه في العلم ؟ على أنه كما يظهر من شعره قد ترك في آخر حياته جميع ما يلام المرء عليه ، ولئن ثبت على رأي حاسديه أو مخالفيه القدح في ديانته ، فلا يثبت في صحة روايته ، فقد كان من تحرّيه فيها أنه كان يذكر اللغات التي لم تصحّ عنده بقوله : لا أحقّه ، أولا أدري ما صحته ، وما كانت عداوة نفطويه والأزهريّ إلا عن حسد أسرّاه في القلب لتأليفه الجمهرة ، أعاذنا الله من ظلم الناقدِ إذا نقَد ، وشرّ الحاسدِ إذا حسَد .

شيوخه . — أخذ ابن دريد عن شيوخ نبغوا في القرنين الثالث والرابع ، وهما من أزهر عصور العلم في الإسلام منهم :

١ — أبو إسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي .

٢ — أبو بشر أحمد بن عيسى العكلي .

٣ — أبو العبّاس أحمد بن يحيى (ثعلب) .

٤ — حامد بن طرفة .

٥ — الحسن بن خضر .

٦ — الحسين بن دريد عمّه ومربّيه .

٧ — أبو عثمان سعيد بن هرون الأشناندانيّ روى عنه (معاني الشعر) الذي نشرته بدمشق جمعية الرابطة الأدبية بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٠ ه .

٨ — السكن بن سعيد الجُرموزي وله ذكر في هذا الكتاب ، يروي عن محمد بن عبّاد عن ابن الكلبي .

٩ — أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني .

١٠ — العباس بن الفرج الرياشيّ .

١١ — عبد الأول بن مزيد أحد بني أنف الناقة .

١٢ — عبد الله بن أحمد المهزميّ الشاعر .

١٣ — عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي ، وكثير من أحاديث هذا الكتاب مرويّ عنه .

١٤ — العتبيّ .

١٥ — الفضل بن محمد بن العلاف .

١٦ — أبو عمران الكلابيّ .

١٧ — محمد بن أحمد الحكيميّ .

١٨ — محمد بن أحمد الصولي .
١٩ — محمد بن الحسين يروي عن المازني .
٢٠ — معروف بن حسّان يروي عن الليث .
٢١ — يزيد بن عمرو الغنوي .

تلامذته . — وقد اشتهر باللغة والأدب كثير من تلامذته الأعلام ، فكانوا من مفاخر العرب والإسلام منهم :

١ — إبرهيم بن الفضل الهاشمي .
٢ — أحمد بن عبيد الله بن شقير البغدادي .
٣ — أحمد بن علي القاشاني .
٤ — أحمد بن فضل بن شبابة .
٥ — أحمد بن محمد المكتفي بالله .
٦ — أحمد بن محمد بن الفضل الخزّاز .
٧ — أحمد بن منصور اليشكري .
٨ — إسحاق بن إبرهيم بن الجنيد .
٩ — إسماعيل بن عبد الله الميكالي .
١٠ — إسماعيل بن القاسم أبو علي القالي .
١١ — الحسن بن احمد الفارسي (أبو علي) .
١٢ — الحسن بن بشر الآمدي صاحب الموازنة .
١٣ — الحسن بن عبد الله العسكري (أبو أحمد) .
١٤ — الحسين بن أحمد بن خالويه .
١٥ — الحسن بن عبد السلام السيرافي .
١٦ — ابن خير الورّاق .

١٧ — سَهل بن أحمد الديباجيّ .

١٨ — عبد الرحمن الزجاجيّ أبو القاسم صاحب الجُمل .

١٩ — عبيد الله بن احمد المعروف بجخجخ .

٢٠ — عبيد الله بن محمد الجراديّ .

٢١ — أبو عبد الله بن زكريا .

٢٢ — علي بن أحمد الدريدي (ورّاق ابن دريد) .

٢٣ — علي بن أحمد بن الصباح .

٢٤ — علي بن الحسين الاصفهانيّ صاحب الأغاني .

٢٥ — علي بن الحسين المسعودي صاحب المروج .

٢٦ — علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهريّ .

٢٧ — علي بن عيسى الرّماني النحويّ .

٢٨ — علي بن محمد الكاتب .

٢٩ — علي بن مهدى .

٣٠ — عمر بن حفص المعروف بابن شاهين .

٣١ — عمر بن محمد بن سيف روى عنه كتاب النبات للأصمعيّ .

٣٢ — الفضل بن شاذان ، أبو علي .

٣٣ — محمد بن احمد الأخباريّ .

٣٤ — محمد بن أحمد الكاتب .

٣٥ — محمد بن بكر البسطاميّ .

٣٦ — محمد بن الحسن الحاتميّ .

٣٧ — محمد بن السريّ السرّاج .

٣٨ — محمد بن العباس بن حيويه .

٣٩ — محمد بن علي المعروف ببرمان .

٤٠ — محمد بن علي بن مقلة الكاتب .

٤١ — محمد بن عمران المرزباني صاحب الموشح .

٤٢ — محمد بن عمران الجوري .

٤٣ — المعافى بن زكريا النهرواني .

٤٤ — موسى بن رباح راوي الجمهرة .

كتبه . — ما رأينا لابن دريد كتاباً إلا ممتعاً ، وفيه ما لا يوجد في غيره من الكتب كهذا الكتاب ، وقد حفظ الله لنا معظم آثاره ، منها ما طبع وما لم يزل راقداً في الخزائن بعثها الله من مراقدها ليستفيد العرب من فوائدها ، وكتبه التي عرفناها هي :

١ — الجمهرة أو جمهرة اللغة طبعت في حيدر آباد (١٣٤٤ — ١٣٥٢ ﻫ) في ثلاث مجلدات والمجلد الرابع في الفهارس ، وهي مع الاشتقاق من أجل كتبه .

٢ — الاشتقاق ، أو اشتقاق أسماء القبائل كما ذكره ياقوت والصفدي والسيوطي ، وقد طبع أولاً في لبزك ١٨٥٤ ثم نشره الأستاذ عبد السلام هرون سنة ١٩٥٨ وأجاد في تحقيقه ووضع فهارسه الفنية المفيدة .

٣ — وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع وقد كثر في اسمه التصحيف فقد ذكر الصفدي في الوافي بالوفيات زوار العرب ، وذكر المطر والرواد ، فلعل زوار العرب كتاب آخر وجاء اسمه أيضاً رواة العرب ، ونرى أن الصحيح ما كتبه ابن دريد في فاتحته .

٤ — الملاحن ، ذكره ابن النديم والقفطي وياقوت وغيره ، طبع مرتين في أوروبة احداهما بليدن ١٨٥٩ والثانية في جوتا ١٨٨٢ ، ثم نشره الشيخ ابراهيم أطفيش في القاهرة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية .

٥ — صفة السرج واللجام طبع بليدن ١٨٥٩ في مجموعة جرزة الحاطب .

٦ — المجتنى : ذكره ابن النديم والقفطي وابن خلكان ، وقد طبع في حيدر آباد ١٣٤٢ بعناية المستشرق الألماني الكبير سالم الكرنكوي ، ذكر ابن دريد بأنه سمي المجتنى لاجتنائه فيه طرائف الآثار كما تجتنى أطايب الثمار .

٧ — أدب الكاتب ، وقال ابن النديم : على مثال كتاب ابن قتيبة ، وذكره ابن الأنباري باسم ، أدب الكتّاب .

٨ — الأمالي ، وقد لخصها الجلال السيوطي وسماه : قطف الوُرَيد .

٩ — تقويم اللسان ، قال ياقوت : على مثال كتاب ابن قتيبه ولم يجرّده من المسوّدة ولعله كتاب أدب الكاتب الذي مرّ في الرقم السابع .

١٠ البنون والبنات ذكره السيد محمد بدر الدين العلوي في مقدمة ديوان ابن دريد .

١١و١٢ — الخيل الكبير والخيل الصغير كتابان ذكرهما ابن النديم وياقوت وابن خلكان وغيرهم .

١٣ — اللغات في القرآن ، وقد يكون هو كتاب غريب القرآن .

١٤ — المتناهي في اللغة كما جاء في تقديم العلامة عبد السلام هرون لكتاب الاشتقاق ووَجد اسمه في أمالي القالي (٢/٤٤) .

١٥ — الوشاح : قال ياقوت : على حدّ المحبّر لابن حبيب ، وقال ابن خلكان والصفدي : صغير مفيد ، وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ورقتان في الفلم (ميكرو فيلم) رقم ١٨٩٥ في مجموعة من مكتبة الاسكوريال .

١٦و١٧ — الملتقى والمقتبس ذكرهما ابن النديم ، وذكر الثاني ياقوت وابن خلكان والسيوطي .

١٨ — فَعلتُ وأفعلت : ذكره ابن النديم وياقوت والسيوطي .

١٩ — ما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حِفظاً ، قال ابن النديم : جمعه علي بن اسماعيل بن حرب عنه .

٢٠ — التَّوشُّط : ذكره ابن النديم وياقوت والقفطي ، وجمعه أبو حفص في مائة ورقة .

٢١ — المقصور والممدود ، ولعله تلك القصيدة المقصورة المنشورة في صدر ديوانه فقد ذكر فيها أنواع القصر والمدّ في ٥٧ بيتاً ، ومطلعها :

لا تركنَنّ إلى الهوى ... واذكر مفارقة الهواءْ
يوماً تصير إلى الثرى ... ويفوز غيرك بالثراءْ

هيامه بالكتب . — كان ابن دريد بالعلم منهوماً وبالكتب مفتوناً ، ويرى أن مفاتن الطبيعة إن عُدّت من متنزّهات العيون ، فانّ الكتب الممتعة من متنزهات القلوب ، قال الأمير أبو نصر بن أحمد الميكاليّ : تذاكرنا المتنزهات يوماً ، وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الابلّة ، وقال آخرون : بل سُغد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان بغداد ، وقال بعضهم : شِعب بوّان ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ ، فقال : هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ قلنا : وما هي يا أبا بكر ؟ قال : عيون الأخبار للقتبي ، والزُّهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر ثم أنشأ يقول :

ومن تك نزهته قينةٌ ... وكأسٌ تُحثُّ وكأسٌ تُصبّْ
فنزهتنـــا واستراحتنا ... تلاقي العيون ودرس الكُتُبْ

وكتب محققه وشارحه

دمشق الجديدة في { ٢٦ رجب ١٣٨٢ هـ / ٢٢ كانون الأول ١٩٦٢ م } عز الدين بن أمين التنوخي

لطف الله به

ما جاء في صفحة العُنوان

قرأ عليّ الرئيس الأجلّ جمال الرؤساء أبو المكارم أحمد بن محمد بن الضحّاك(١) أدام الله علوّه هذا الكتاب قراءة صحيحة مَرضيّة ، وكنتُ قرأته على الشيخ أبي الفضل محمّد بن الناصر بن عليّ الحافظ ، وأخبرني به عن شيخه أبي الحسن المبارك ابن عبد الجبّار الحمّامي عن عبد الواحد بن الحسين بن قُرقُر(٢) الحذّاء عن العَدل أبي القاسم اسماعيل بن سعيد بن سُويد عن أبي بكر بن دريد ؛

وأخبرني أيضاً عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزيّ اللغويّ ،
عن أبي يَعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء(٣)، عن أبي القاسم بن سويد عن
ابن دُرَيد ؛ وأخبرني الشريف الخطيب أبو علي محمد
ابن محمد بن عبد العزيز بن المهديّ إجازةً
عن أبي الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة البزّاز(٤)
عن القاضي أبي سعيد السيرافي عن
أبي بكر بن دريد

وكتب علي بن عبد الرحيم بن الحسن السُّلَمي (٥)
الرَّقّي بمدينة السلام

يوم الأحد لأربعة عشر (خلت) من شهر ... الأول سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة .

(١) لم نجد هذا العلم في مراجع الأعلام بأيدينا ، ولعله من آل الضحاك المشهورين بصناعة الكتابة من مدينة الحلة العراقية .

(٢) هو عبد الواحد بن الحسين بن عمر بن قرقر أبو طاهر الحذاء سمع علي بن عمر الحربي وأبا الحسن الدارقطني وأبا حفص بن شاهين وأبا القاسم ابن سويد وعبيد الله بن عثمان بن يحيى ، قال الخطيب البغدادي : كتبت عنه ، وكان سماعه صحيحاً (٣٧٧ – ٤٤٩ ﻫ) من تاريخ بغداد (١٦/١١) .

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ، أبو يعلى المعروف بابن الفراء ، أحد الفقهاء الحنابلة درس وأفتى سنين كثيرة ، وحدث عن أبي القاسم بن حبابة وعبد الله بن أحمد بن مالك البيع ، وعلي بن معروف البزاز وعلي بن عمر الحربي وعيسى بن علي بن عيسى الوزير واسماعيل ابن سعيد بن سويد ، كتبنا عنه وكان ثقة ، (٣٨٠ – ٤٥٨ ﻫ) من تاريخ بغداد (٢٥٦/٢) .

(٤) محمد بن عبد الواحد بن علي بن ابرهيم بن رزمة أبو الحسين البزاز : حدث عن أحمد بن يوسف بن خلاد وأبي بكر بن سالم الختلي وعمر بن محمد بن يوسف وأبي سعيد السيرافي ، كتبت عنه وكان كثير السماع (٣٥١ – ٤٣٥ ﻫ) من تاريخ بغداد (٣٦١/٢) .

(٥) هو علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن ابرهيم السلمي المعروف بابن العصار اللغوي الرقي ، ورد بغداد وقرأ بها العلم ، وانتهت إليه رياسة معرفة اللغة والعربية قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه ، وتخرج به جماعة منهم أبو البقاء العكبري الضرير . وكان تاجراً موسراً سافر إلى الديار المصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم . وكان عارفاً بديوان المتنبي علماً ورواية ، قرأه عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر ، ولم يكن في النحو مثل اللغة ، واجتمع في مصر بابن بري وابن الخلال الكاتب (٥٠٨ – ٥٧٦ ﻫ) . من مصورة الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (المجلد ١٢ والورقة ٩٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال أبو بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد :

نبدأُ بحمدِ اللهِ عزّ وجلّ على آلائهِ ، ونختم بالصّلوة على خاتَم أنبيائهِ .

هذا كتابٌ جمعنا فيه ما ذكَرته العَربُ في جاهِليّتها وإِسْلامها من وصفِ المطرِ والسّحاب ، وما نَعتَتْهُ العرب الرُّوادُ[1] من البِقاع ، ونرغب إلى اللهِ عزّ وجلّ في التّوفيق للصّواب .

١ ـ حدّثنا إِسْمعيلُ بن أحمدَ بن حَفصٍ النّحويّ المعروفُ بسَمعان النّحويّ قال حَدثنا أبو عمر الضّرير قال حدّثنا عَبّادُ ابنُ عبّادٍ[2] بن حَبيبِ بن المهلّبِ عن موسى بن ابرهيم التيميّ[3] عن أبيه عن جَدّه[4] قال : بيْنَا رسولُ الله ﷺ

---

(١) في نسخة ليدن (جرزة الحاطب) : الرُّوّاد العرب .

(٢) في الأمالي (١/٨) : حدثنا عبّاد بن حبيب بن المهلّب ، وقد ينسب العربيُّ إلى جدّه .

(٣) في الأمالي : إبرهيم التميمي ، وفي الليدنية : التيمي .

(٤) رواه المرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة (٢/٩٩) عن أحمد ابن يحيى (ثعلب) عن ابن الأعرابيّ .

ذاتَ يوم جالساً (١) مع أصحابِه إذ نَشأتْ سَحابةٌ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، هذهِ سَحابةٌ ، فقالَ : كيفَ ترونَ قواعِدَها ؟ قالوا: ما أحسنَها وأشدَّ تمكُّنَها ! قالَ : وكيفَ ترون رَحاها ؟ ، قالوا : ما أحسنَها وأشدَّ استدارَتَها ! قالَ : فكيفَ ترونَ بَواسِقَها ؟ قالوا : ما أحسنَها وأشدَّ استِقامتَها ! قال : كيفَ تَرونَ بَرْقَها : أوَميضاً أم خَفواً ، أم يَشُقُّ شَقًّا (٢) ؟ قالوا : بل يَشُقُّ شَقًّا ، قالَ : فكيفَ تَروْنَ جَوْنَها (٣) ؟ قالوا : ما أحسنَهُ وأشدَّ سَوادَهُ ! فقال صَلّى الله عليه :

(١) وفي الأمالي : ذاتَ يومٍ جالسٌ ، وأصل (بينا) بينَ أشبعوا فتحة النون فحدثت بعدها ألف ، وهي ظرف زمان مثل بينما .

(٢) وفي لسان العرب (خفا) : وخَفا البرقُ يخفو خفواً ، وخَفا البرقُ وخَفِيَ خَفْياً فيهما ، الأخيرة عن كراع النَّمل الهنائي : برَقَ برقاً خفيًّا ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم ، فإن لمع قليلاً ثم سكن وليس له اعتراض فهو الوميض وإن شقّ الغيم واستطال في الجوّ إلى السّماء من غير أن يأخذ يميناً ولا شمالاً فهو العقيقة .

(٣) في نسخة ليدن : جَوْزَها ،

والجَوْن هنا الأسود ، ولعلها الرواية الصحيحة ، وهو من الأضداد ، قال الفرزدق يصف قصراً أبيض :

وجَوْنٍ عليه الجصُّ فيه مَريضةٌ ... تَطلّعُ منها النفسُ والموتُ حاضِرُهْ

الحَيَا [١]، فقالوا : يا رسولَ الله ما رأينا الذي هو أفصحُ منك ، فقال : وما يَمنعني ، وإنّما أُنزِل القرآنُ بلساني لِسانٍ عَربيّ مُبين ؛

قال أبو بكر [٢] : قوله (قواعِدُها) أسافِلُها [٣]، و (رَحاها) : وسطها ومُعْظَمها [٤] ، و (بَواسِقُها) : أعاليها [٥] ، وإذا

(١) ما تحيا به الأرض من الغيث ، وفي حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا وحيًا ربيعاً ، والحَيا مقصور ، وقد جاء ممدوداً ، وهو ممدود في كتاب الأزمنة والأمكنة (٩٩/٢) .

(٢) وفي الميدنية : بدل عبارات (قال أبو بكر) : تفسير الكلام

(٣) الواحدة قاعدة ، والقواعد من النساء واحدتهن قاعد ، وهي التي قعدت عن الولد .

(٤) وكذلك رحى الحرب حيث استدار القوم قال ربيعة بن مقروم الضبيّ :

فدارت رحانا بفرسانهم فعادوا كأن لم يكونوا رميا

(٥) الواحدة باسقة . قال جلّ وعز : « والنخل باسقاتٍ » وكثر في كلامهم حتى قالوا : بسق فلان على قومه في العلم والشرف ؛ قال أبو حنيفة (المخصص ٩٦/٩) : كِفاف السحاب أسافله ، وجماعة الأكِفّة ، وشماريخه أعاليه وبواسقه ، وقواعده أركانه كأركان البنيان ، ورحاه مُستداره ، وروي أن رسول الله ﷺ سأل عن سحائب مرّت فقال : كيف ترون قواعدها وبواسقها ، أجَوْن أم غير ذلك ؟ وقال : كيف ترون رحاها ؟ ثم سأل عن البرق : أخَفْواً أم وميضاً أم يشقّ شقّاً ؟ فقالوا : يشقّ شقّا فقال : جاءكم الحيا .

استطارَ البرقُ من أعاليها ، إلى أسافِلها فهو الّذي لا يُشكّ في مَطَرِهِ ، و (الخَفْوُ) أضعَف ما يكون من البَرقِ ، و (الوَميضُ) : نحو التَّبَسُّم الخفيّ يقال : وَمَضَ وأَوْمَضَ ؛

٢ – أخْبَرَنا أبو حَاتِمٍ قال : أخبَرَنا الأَصْمَعيُّ قال [١] : خَرجَ مُعَقِّرُ بنُ حِمارٍ البارقيُّ [٢] ذاتَ يومٍ ، وقد كُفَّ بَصَرُهُ ، وابْنَتُه تَقودُه ، فسَمِعَ رَعْداً فقال لابْنَتِه : ما تَرَيْنَ؟ قالتْ : أَراها حَمّاءَ عَقّاقَةً كأنّها حُوَلاءُ ناقةٍ لها سَيْرٌ وَانٍ ، وصَدرٌ دَانٍ ، فقالَ : مُرّي لا بأسَ عليك [٣] !

ثمّ سَمِعَ رَعداً آخرَ فقال : ما تَرَيْنَ ؟ قالتْ : أراها كأنّها لحمٌ تَنِتٌ مِنه مَسِيكٌ ومِنهُ مُنْهَرِتٌ ، فقالَ : وَائِلي بي إِلَى قفْلَةٍ ، فإنها لا تَنْبُتُ إلاّ بمَنْجاةٍ من السَّيلِ ؛

---

(١) جاء هذا الخبر في اللسان (قفل) مختصراً ، قال : ومنه قول معقّر بن حمار لابنته بعد ما كُفَّ بَصرهُ ، وقد سمع صوتَ راعدةٍ : أيْ بنية : وائلي بي إلى جانب قَفْلة فانها لا تنبت إلاّ بمنجاةٍ من السيل ، وجاء أيضاً مختصراً في أزمنة المرزوقيّ (٢/٩٧) وفي خبره بعض اختلاف ، وجعل بعض النثر شعراً .

(٢) مُعقِّر : بكسر القاف من العقر شاعر جاهليّ وهو القائل :

فألقت عَصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(٣) وفي الميدنية : مُرّي ولا بأس عليك .

قال أبو بكر : (الحَمّاء)(١) : السّوداء تَضْرب الى الُحمرة، (العَقّاقَةُ) تَنْعَقُّ بالبَرقِ ، يُرِيد (٢) أنّ البَرقَ يَنْشَقُّ عَقائقَ الواحدة عقيقة ، و (الحِوَلاء) (٣) جلدة رقيقة تقع مع سَليلِ الناقة (٤) كأنها مِرآةٌ ، فشبّه السّحابَ في كَثرة مائِهِ بالحِوَلاء ، قولها (لحمٌ ثَنِتٌ) تَريد مُسْتَرخياً قد أنْتَنَ : بعضُهُ (٥) متماسِكٌ وبعضُهُ مُتَساقِطٌ ، وهو (المُنْهَرِتُ) ،

---

(١) الحمّاء مؤنث الأحمّ وهو الأسود من كل شيء ، قال ابن سيده : والحُمّة لون بين الدُّهمة والكُمتة .

(٢) ضمير (يريد) ينبغي أن يعود إلى ابنة معقّر البارقي ، ولو جاء (تريد) لكان أصدق .

(٣) قال الخليل : ليس في الكلام فِعَلاء بالكسر ممدوداً إلاّ حِوَلاء وعِنَباء وسِيَراء ، وحكى ابن القوطية : خِيَلاء لغــة في خُيَلاء ، ويضربون المثل بالحولاء لأن ماءها أشدُّ ماء خضرةً وشبها بلون العشب ، وعليه قول الشاعر :

بأغنّ كالحِوَلاءِ زانَ جِنابَهُ   نَوْرُ الدّكادكِ سُوقُهُ تَتَخضّدُ

(٤) الأصمعي : إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليلٌ قبل أن يُعلم أذكر هو أم أنثى ؟

(٥) في النسخة التيمورية : فبعضُه متماسك .

و (القَفْلَةُ)[١] ضَربٌ من الشَّجر ، والجمع قَفْلٌ قال الشاعر[٢] :

وَمُفْرَهَةٍ عَنْسٍ قَدَرتُ لِسَاقِها ... فَخَرّتْ كما تَتَّايَعُ[٣] الرّيحُ بالْقَفْلِ

قالَ (أبو بكر قوله : (تَتَّايَعُ) : تجتمعُ ، ومنه تَتَايُعُ الفَراش في النار ؛ (المُتساقطُ) : أي يَسقطُ ويركب بَعضُها بَعضًا .

(يتبع) عز الدين التنوخي

(١) وفي لسان العرب (قفل) القَفْل بالفتح : ما يَبِس من الشجر ، قال أبو ذؤيب : (ومُفرهةٍ عَنسٍ ...) الشاهد ، وهو من القفول أي اليُبوس ، ورجل قافلٌ : يابس الجلد ، وواحد القَفْل قَفْلةٌ وقَفَلةٌ الأخيرةُ عن ابن الأعرابيّ حكاه بفتح الفاء ، وأسكنها سائرُ أهل اللغة قال ابن المكرّم : فان كان ذلك صحيحاً فقَفَل اسم الجمع .

(٢) هو أبو ذؤيب الهُذَليُّ يذكر عقرَه ناقةً ، وأنّها كاست فخرّت على رأسها .

(٣) قال الأزهريّ : إتّايَعَتِ الريحُ بورقِ الشجر : إذا ذهبت به ، وأصلُه تَتايعت ، والتتايع التهافت في الشرّ واللجاج ، والسكران يتتابع : أي يرمي بنفسه .

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرواد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

- ٢ -

٣ ـ أخبرنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله ابنُ اخي الأصمعيّ

عن عَمّهِ قال : سُئِل أعرابيٌّ عن مَطرٍ فقالَ :

إِسْتَقَلَّ سَدٌّ مع انتشار الطَّفَلِ فَشَصا[1] واحزَألّ ،

(١) وفي الأصل : فشصا .

ثم اكْفَهَرَّتْ أرْجاؤهُ ، واحْمَوْمَت أرْجاؤهُ (١) ، وابْذَعَرت فوارِقُهُ ، وتَضاحَكَت بَوارِقُهُ ، واسْتطار وَادِقُهُ ، وارْتَتَقَتْ جُوَبُهُ ، وارْثَعَنَّ هَيْدَبُهُ ، وحَشَكَتْ أخلافُهُ ، واسْتَقَلَّت أرْدافُهُ ، وانْتَشَرتْ أكنافُهُ ، فالرَّعدُ مُرْتَجِسٌ ، والبَرقُ مُخْتَلِسٌ ، والماءُ مُنْبَجِسٌ (٢) فأَتْرَعَ الغُدُرَ (٣) وأنْبَثَ الوُجُرَ ، وخَلَطَ الأوْعالَ بالآجالِ ، وقَرَنَ الصِّيرانَ بالرِّئالِ ، فَلِلْأَودِيةِ هَديرٌ ، وللشِّراج خَريرٌ ، وللتِّلاعِ زَفيرٌ ، وحَطَّ النَّبْعَ والعُتْمَ من القُلَلِ الشُّمِّ إلى القِيعانِ الصُّحْمِ ، فلم يَبقَ في القُلَلِ إلا مُعْصِمٌ مُجْرَنْثِمٌ ، أو داحِضٌ مُجْرَنْجِمٌ ، وذلك من قَضاءِ رَبِّ العالَمين على عبادِهِ المُذْنِبين .

قال أبو بكر قولُهُ :

(إسْتَقَلَّ) : ارتفعَ في الهواءِ ، و (السَّدُّ) السَّحابُ

---

(١) نسيها الناسخ (واحمومت أرجاؤه) في المتن ، وأثبتها في الشرح ، وجاءت في الميدنية .

(٢) وفي الهامش : قال الله تعالى : فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً أي نبعت .

(٣) وفي الميدنية : الغَدْر ، بسكون الدال والصواب بضمها جمع غدير مثل كثيب وكُثُب .

الذي يَسُدُّ الأُفقَ ، و (الطَّفَلُ) اختلاطُ الظَّلامِ بعدَ غروبِ الشمسِ ، و (شَصَا) ارتفع يعني السّحابَ ، و (اخْزَألَّ) أي انْتَصبَ ، و (اكْفَهَرَّ) تَرَاكَم وغَلُظَ ، و (أرْجاؤهُ) نواحيه ، الواحد رَجًا مقصور ، (احمومَت) اسودّت ، وهو سَوادٌ تَخلِطه حُمرة ، (أرْحاؤُهُ) أوساطُه ، و (ابْذَعَرَّتْ) تَفَرَّقت ، و (الفوارقُ) الواحدة فارق ، وهي قِطَع من السّحاب تَفرّق عنه مثل فُرَق الإبلِ ، وهي النّوقُ إذا أرادت الولادةَ فارقتِ الإبلَ وبَعُدَت عنها حيثُ لا تُرى فأَنتَجت ؛ (تَضاحكت بَوارِقُهُ) شبّه لمعانَ البَرقِ بالضّحِك ، و (اسْتطار) انتشَرَ ، و (الوَدْق) قَطْرٌ كبارٌ يَخرجُ من خَلَل السّحاب قبلَ احتفالِ المطَر ، (ارْتَتَقَت جُوَبُهُ) أي تلاءمتِ ، و (الجُوَبُ) الفُرَجُ ، الواحدة جُوبة ، و (والهَيْدبُ) : ما تَدَلّى من السّحاب في أعجازِهِ فكأنّه كالهُدْب له ، و (حَشكتْ أخلافُهُ) هذا مَثَلٌ ، (يقال) حَشَكَ[1] ضَرْعُ الناقةِ إذا امتلأ لبنًا ، والأَخلافُ : الواحد خِلْفٌ ، وهو الضَّرْعُ للناقةِ خاصّةً ، وأرْدافُهُ : مآخيرُهُ ، وأكنافُهُ : نَواحيهِ ؛ قولُهُ : (الرّعدَ

(١) في الميدنية : يقال حشك ضرع الناقة .

مُرْتَجِس) أيْ تَسمعُ له رِجسًا ، وهو الصَّوتُ بهِدَّةٍ شَديدة ، و (مُنْبَجِسٌ) مُنْصَبٌّ ؛ (والبَرق مُحتلِس) كأنه يَختَلِسُ الأَبصارَ من شِدَّة لَمعانه ، (فأَترعَ الغُدُرَ) أيْ مَلأها . و (الغُدُرُ) جمع غَدير ، و (أَنْبَثَ الوُجَرَ) أيْ حَفَرها وخَرَّبها ، و (الوُجُرُ) جمع وِجار ، وهو سَرَبُ الضَّبُع ، وللذِّئبِ والثَّعلَب ؛

وقوله : (خَلَطَ الأَوْعالَ بالآجال) يُريد أنه حَطَّ تلك الأَوْعالَ من رُؤوس الجبالِ فخلطَها بالآجالِ ، و (الآجالُ) واحدها إِجْلٌ ، وهي قُطعانُ الوَحش ، وانه حَطَّ تلك من رؤوس الجبال ، فجمعَ بَينها وبينَ البَقرِ التي مَراتِعُها القِيعانُ لاحتمالِ السَّيل لها[1] ؛ وقوله : (قَرَنَ الصِّيرانَ بالرِّئالِ)، والصِّيرانُ : جمع صُوار ، وهو القَطيع من بَقَر الوحش ، والرِّئالُ : واحدها رَأْلٌ ، وهي فِراخُ النَّعامِ ؛ وإنّما يُريدُ بهذا كُلِّه أنَّ السيلَ غَرَّقَ هذهِ الوحوشَ فجمعَ بين السَّهلي[2] والجبليّ ؛ وقوله : (للأَوْدية هَدير) : أي تَهدِرُ كهدير الإبلِ لكثرةِ السَّيلِ ؛

(١) وفي اليدنية : فاحتَملها السَّيلُ .

(٢) أبو عمرو بن العلاء : يُنسبُ إلى الأرض السهلة سُهْليّ بضم السين .

والشِّراج : الواحدُ شَرْجٌ ، وهي مَجاري الماء من الغِلَظِ (١) إلى بُطونِ الأَوْدِيةِ ،

و (التِّلاعُ) أَفواهُ الاوْديةِ ، الواحدُ تَلْعَةٌ ، أيْ تَزْفِر بالماء لفَرْطِ امْتلائها ، و (النَّبعُ والعُتْمُ) (٢) : ضَربان من الشَّجَر لا يَنبُتانِ إلاَّ في الجبلِ (٣) ، يقول : فَحَطَّ السَّيلُ هذا الشَّجَر من رُؤوس الجبالِ إلى القِيعانِ ؛

وقولهُ (لم يَبْقَ إلاَّ مُعْصِمٌ) يُريدُ أنَّ الوُعولَ خافت

---

(١) الغِلَظ في الأصل ضد الرقة في الخَلْق والطَّبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك ، وأرض غليظة غير سهلة ، وربما كُني عن الغليظ من الأرض بالغِلَظ ، قال ابن سيده : فلا أدري أهو بمعنى الغليظ أم هو مصدر وُصِف به ؟ والغلَظ : الغليظ من الأرض رواه أبو حنيفة عن النضر ورُدّ ذلك عليه ، قالوا : ولم يكن النضر ثقةً ، والغَلَظ عن كُراع الصُّلب من الأرض من غير حجارة ، وهو تأكيد لقول أبي حنيفة .

(٢) وفي هامش الأصل : خ والعُتْمُ بسكون التاء : زيتون البَرّ ، وفي اللسان أيضاً بالتحريك قال أمية :

(تلكم طَروقَهُ والله يَرفعُها فيها العَذاة وفيها يَنبُتُ العَتَمُ)

(٣) أمّا النبع فتتخذ منه للدونة ومتانته القسيّ والسهام ، وأما العُتْم بسكون التاء وضمها فهو ما يسمّى بالفرنسية Oleastre وبلسان العلم (Olea Oleaster) وهو نوع بَريّ من جنس الزيتون ينبت في جبل اللكام شرقيّ الشام وغزة تسمّى الزَّغْبَج (معجم الألفاظ الزراعية) .

الغَرَقَ واسْتَعْصَمتْ بالصُّخورِ [1] ، فَنَجا ما اسْتعْصَمَ مِنها ، وتَجَرْجَمَ [2] ما لم يَعْتَصِمْ : أي صُرِعَ فاحْتَمَلَهُ السَّيلُ ؛ و (المُجْرَنْثِمُ) المُتقبِّضُ .

٤ ـ أخبرَنا أبو حاتم وعبدُ الرّحمن عن الأصمعيّ قال : [3]

---

(١) وفي البدنية : فاعتصمت بالصخور فنجا ما اعتصم .

(٢) وقالوا : جَرْجَمَ البيتَ هَدَمه أو قوّضه فتجرجَم ، والرجلَ صَرَعهُ فتجرجَم .

(٣) وجاء هذا الخبر الدُّريديّ في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (٢/٤) وقال فيه : ومن أبلغ ما جاء في ذلك (أي في صفة السحاب) ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دُريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال : سألت أعرابياً من عامر ابن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم ... إلى آخر هذا الخبر مع اختلاف قليل في الألفاظ مثل (فاعترض الأمطار فأغشاها) وفي نسختنا : فاعْتَنّ في الأقطار فأشجاها ؛ ومثل (وبغش ثم انطلط) وفي نسختنا : وبَغَش وطَشّ ثم قطقط ؛ ومثل (ثم ركدَ فأجثَم) وفي نسختنا : فأثجمَ ؛ ومثل (ثم وَبَل فسح) وعندنا : وَبَلَ فسَجَم ، وهو أقوى لموافقة السجع ؛ ومثل (لا يريد انقشاعاً) وعندنا : ما يوبل انقشاعاً ؛ وليس في القاموس ولا اللسان أوبل ، فلعل هنالك تصحيفا ؛

أما (أبو أحمد) الذي جاء في السند فهو خال أبي هلال العسكري ، وهو من تلاميذ ابن دريد ونفطويه ، وكان من علماء اللغة والنحو والأدب ، ولعل أبا الطيب اللغوي قد أخذ عنه في عسكر مكرم مع رفيقه أبي هلال العسكري ، وهو بلديه وصفيه .

سَألتُ أعرابيًا من بَني عَامِرِ بن صَعْصَعَةَ عن مَطَرٍ صَابَ[1] بلادَهم، فقالَ : نَشَأ عارِضاً فَطلعَ ناهِضاً ، ثمَّ ابتَسمَ وامِضاً ، فأعْتَنَّ في الأقطارِ فأشجَاها ، وامْتَدَّ في الآفاقِ فَغطّاها ، ثمَّ ارْتجز فهَمْهَمَ ، ثم دَوّى فأظْلَمَ ، فأَرَكَّ ودَثَّ وبَغَشَ وطَشَّ ، ثم قَطْقطَ فأَفْرطَ ، ثم دَيَّمَ فأغْمطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فأثجَمَ ، ثمَّ وَبَلَ فسَجَمَ ، وجادَ فأنْعَمَ ، فقَمَسَ الرُّبى ، وأفرطَ الزُّبى ، سَبْعاً تِباعاً ، ما يُرِيدُ انْقِشاعاً ، حتَّى إذَا ارْتَوتِ الحُزونُ ، وتَضَحْضَحت المُتونُ ، سَاقَهُ رَبُّكَ إلى حَيثُ شاء ، كما جَلَبَهُ من حَيثُ شاء .

قال أبو بَكر : قوْله (نَشَأَ عارِضاً) أي اسْتقلَّ ، و (العَارِضُ) سَحابٌ يَعْتَرِضُ في أُفقِ السماء ؛ وقوله : (طَلَع) ارْتفعَ[2] ، و (الوامِضُ) البَرقُ ، يُقال : وَمَضَ السّحابُ وأوْمَضَ : إذا رأيتَ البرقَ في عُرْضِهِ يَلمعُ لمَعاناً خَفِيًا كالتَّبسُّمِ ؛

وقولُهُ : (فأشجَاها) أي مَلأها ؛ وقوله (ارْتجزَ) يَعني ارْتجازَ الرّعدِ ، و (هَمْهَمَ) وهو أنْ تَسمعَ للرّعدِ هَمْهمةً

(١) وفي حيوان المعاني : أصابَ ، و (صابَ) هنا عربيّ جيد .
(٢) وفي الأصل : فارتفع ، وجاء في الليدنية : والوَمض البرق .

كهَمهَمةِ الأَسَدِ ؛ وقوله (دَوّى) أيْ سمعتَ له دَويًّا ؛ وقوله : (فأَرَكَّ) أيْ مَطَرَ رِكا ، و (الرِّكُّ) : مَطرٌ ضَعيفٌ ، وكذلكَ (الدَّثُّ) والجمعُ دِثَاثٌ ⁽¹⁾ ورِكاكٌ ؛ و (البَغْشُ) دونَ الطَّشِّ ، و (القِطْقِطُ) قَطْرٌ مُتَتَابعٌ أكثرُ من قَطْرِ الطَّشِّ⁽¹⁾ ؛

وقَوله : (دَيَّمَ ⁽²⁾ الدِّيمَةَ) : (الدِّيمةُ) مَطَرٌ يَبقى أياماً لا يُقْلِعُ ؛ وقولهُ (أغمَطَ) أيْ دَامَ ⁽³⁾ ، و (رُكودُهُ) دَوامُـــه ثابتاً لا يَتحرّكُ ، وقولُهُ (أثجَمَ) أيْ أقامَ ⁽⁴⁾ ؛

---

(١) وقال المرزوقيّ في كتابه الأزمنة (٢/٨٧) : وأوّل أسماء المطر (القِطْقِط) وهو أصغر المطر و (الرذاذ) فوق القطقط ، يقال قطقطتِ السماء وأرذّت ، ومنه (الطّشّ) وهو فوق القطقط ، و (البَغْش) وهو فوق الطّشّ ، قلت : وكلها من صغير المطر ودقيق القطر .

(٢) أي أمطَرَ ديمةً ، وأصلها (دِوْمة) قلبت الواو ياءً بعد كسرة ، وهي من دام يدوم دواماً .

(٣) وفي ل (غمط) : وأغمطت السماء واغبطت : دام مطرها ، وسماء غَمْطَى وغَبْطَى دائمة المطر ، ويقال : أغمطت عليه الحمّى كأغبطت ، والميم بدل من البــاء ، قلت : وهما شفويان من مخرج واحد ، يتعاقبان كثيراً .

(٤) الإثجام سرعة المطر ودوامه أياماً متوالية ، وفي الصحاح أثجمت السماء ثم انجمت .

(وَبَلَ) من الوَابِلِ ، والوابلُ : المَطَرُ للكِبارِ القَطْرِ ، الشَّديد الوَقْعِ ؛ والسَّجْمُ : الصَّبُّ ؛ وقولهُ (أَنعَمَ) أي بَالغَ فيهِ [١] ، ومنه قولهم : دَقًّا نِعِمًّا : أيْ مُبالِغًا ؛

وله : (قَمَسَ الرُّبَى) أي غَوَّصَها في الماء ، و (الرُّبَى) جمع رَابِيةٍ ؛ وقولهُ (أَفْرَطَ) أيْ مَلأَ ، و (الزُّبَى) جمع زُبْيةٍ ، وهي الحُفرةُ [٢] تُحْفَر للأسدِ والذئبِ أيضًا [٣] ، والزُّبْيَةَ لا تُحفَر إلاّ في مَوضعٍ مُرتفعٍ ، فإذا بلغَ السَّيلُ إلى مَوضعِ الزُّبْيةِ فقد بلغَ الغايةَ [٤] ؛ وقولُه (ارْتَوتِ الحُزون) افْتعلت من الرِّيِّ ، و (الحُزونُ) الغِلَظُ من الأرضِ ، الواحدُ حَزْنٌ ؛

(١) الأزهريّ : ودَقَقتُ دواءً فأنعمتُ دقّه : أي بالغت وزدت ، قلت : ومن هنا جاء معنى الزيادة ، وقال ابن منظور في ل (نعم) : ودقّقته دقًّا نِعِمًّا : أيْ نعم الدقّ .

(٢) في اللدنية : وهي حفيرة تحفر للأسد .

(٣) ويجعل فيها طُعمٌ فيجيء الأسد أو الذئب حتى يقع فيها .

(٤) وكان جارفًا مُجحفًا وفي المثل : بلغ السيل الزُّبَى ، يُضرب لما جاوز الحدّ ،

وقولُه (تَضَحْضَحَتِ المُتونُ) : أيْ صارَ فوقَها ضَحْضَاحٌ من الماء ، وهو الماءُ يَجري على وَجهِ الأَرض رَقيقاً ، و (المَتْنُ) : صَلابَةٌ من الأرضِ فيها ارتفاعٌ ، وهو دُونَ الحَزْنِ .

٥ ــ أخبرنا عبدُ الرحمن عن عَمّهِ قال : سُئِلَ رجلٌ من العَرَبِ عن مَطَرٍ كانَ بعدَ جَدْبٍ فقال : نَشَأَ حَمِلاً سَدا[1] ، مُتَقاذِفَ الأَحضَانِ ، مُخَمْوَمِيَ الأَركانِ . لَمّاعَ الأَقرابِ ، مُكْفَهِرَّ الرَّبابِ ، تَحِنُّ رُعودُهُ حَنينَ الطِّرابِ ، وتُزَمْجِرُ زَمْجَرةَ اللُّيوثِ الغِضابِ ، لِبَوارِقِهِ التِهابٌ ، ولِرَواعدِهِ اضطرابٌ ، فجاحَفَتْ[2] صُدورُهُ الشِّعافَ ، ورَكِبَتْ أعجازُهُ القِفافَ ، ثُمَّ أَلْقَى أعباءَهُ ، وحَطَّ أثقالَهُ ، فتألَّقَ وأصعَقَ ، وانبَجَسَ

(١) التهذيب : السَّدُّ مصدر قولك سددتُ الشيءَ سدًّا ، وجاء السُّدُّ بالفتح والضم بمعنى الجبل والحاجز ، وحكى الزجاج وأبو عبيدة والأخفش : ما كان مَسدوداً خِلقةً فهو سُدٌّ ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ ، وعلى ذلك وُجِّهت قراءة من قرأ (حتى إذا بلغ بين السدَّين) بالفتح والضم ؛ وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بضم السين .

(٢) أصل الجَحْف القَشْر والجَرْف ، وسيل جُراف يجرف كل شيء ، وجاحَفَ به : زاحَمه وداناه والجِحَاف بكسر الجيم مزاحمة الحرب مصدر جاحفه مجاحفة وجِحافا .

وانبَعَقَ ، ثمّ أنجَمَ فانطَلقَ ، فعادَتِ النِّهاءُ مُترَعَةً ، والغِيطانُ مُمرِعةً ، حَياً للبِلاد ورِفداً للعِباد [1] .

قال أبو بكر : (الحَمَلَ) السَّحاب الكثيرُ الماء ، و (السّدُّ) الّذي قد سَدّ الأُفقَ ؛ (مُتَقاذِف الأَحضانِ) يُريد النّواحي [2] ؛ وقولهُ : (مُحْمَوْمِي) [3] هو مُفْعَوْعِلٌ من الحُمّة ، وهي سَواد تَخلِطه حُمرةٌ يَسيرةٌ ؛ و (الأَقرابُ) الخُصورُ ، الواحِدُ قُرْبٌ ، والقُرْبُ والإِطْل والكَشْحُ والخَصْر واحِدٌ ؛

و (المكفَهِرّ) المُتراكِبُ ، و (الرَّبابُ) سَحابٌ تَراه كأنه مُتَعلِقٌ بالسَّحابِ ، الواحدة رَبابَة ؛ وقولهُ (حَنينَ الطِّرابِ)

(١) وفي الليدنية : ورزقاً للعباد .

(٢) الأزهري : حِضْنا الجبل ناحيتاه ، والرجل جنباه ، ونواحي كل شيء أحضانه . و (المتقاذف) أي سريع الانقذاف في جوانب الأرض ، وقالوا : فرس متقاذف : سريع العَدْو كأنه يقذف بنفسه أمام الخيل في عدْوه ، والناقة القَذوف : تَرمي بنفسها من مرعتها أمام الإبل .

(٣) مُحْمومي الأركان : قال ابن منظور : والمُحْمَوْمي الشيء أسودُ كالليل والسحاب ، والمُحْمومي من السحاب : المتراكم الأسود ، قال في صفة السحاب ،

تألَّقَ واحْمَوْمَى وخَيّمَ بالرُّبى أحَمَّ الذُّرى ذو هَيْدَبٍ مُتراكِبِ

أرادَ الإبلَ النوازعَ إلى أوطانِها ، فهيَ تحِنُّ ، فشبَّهَ حنينَ الرّعدِ بحنينِ الإبلِ إلى أوطانِها .

وقولهُ (جاحفَ) أيْ زاحمَ ، و (الشّعافُ) رؤوسُ الجبالِ الواحدةُ شَعَفَةٌ [1] ، و (القِفافُ) [2] (جمع قفّ وهو) الغِلَظُ من الأرض لا يَبلغُ أنْ يكونَ جبلاً : يُريدُ أنَّ أعاليَ هذا السّحابِ مُطِلَّةٌ [3] على الجبالِ ، ومآخيرُهُ على القِفافِ دانيةٌ منَ الأرضِ ؛

(ألْقَى أعْباءهُ) أيْ أثقالَهُ ، يُريد الماء ، و (التّألُّقُ) شِدّةُ اللّمعانِ ؛ و (الانْبِجاسُ) الانفجارُ بالماء ، و (الانْبِعاقُ)

---

(١) وفي نسخة : شَعَف كما جاء في الهامش ، وكذا في الميدنية .
وفي الأصل تحت شَعَفَة كتب الناسخ كلمة (شعف) وكان ينبغي أن تكتب تحت (الشعاف) لأن الشَّعَف جمع شَعَفَة ، وهي من كلّ شيء أعلاه ، وشَعَفَة الجبل رأسُه ، وتجمع أيضاً على شِعَاف وشُعُوف .

(٢) وفي الميدنية : والقفاف جمع قُفّ ، ويجمع على أقفاف عن سيبويه ، وهو جمع قِلّة ، قال ابن شميل : القُفّ جبل غير أنه ليس بطويل في السّماء فيه إشرافٌ على ما حوله وما أشرف منه على الأرض حجارة ، ويكون في القفّ رياض وقيعان ، قال أبو منصور الأزهري : وقِفافُ الصمّان على هذه الصفة ، وهي من حُزُون نجد .

(٣) وفي الأصل (مُطِلٌّ) ، وكذا في الميدنية ، وهي خبر (أعالي) فيقتضي تأنيثها وتأنيث (دانٍ من الأرض) كما فعلنا .

الصّبُّ الكثيرُ في سَعة [1] ، وقولهُ (أنجَم) أي أقلَعَ وانقَشَعَ و (النِّهاء) جمعُ . نِهْيٍ ، وهو الغَديرُ الذي له نَاهٍ يَنهاهُ أنْ يَفيضَ [2] ؛ و (الغِيطانُ) جمع غائط ، وهو البَطنُ الغامِضُ مِنَ الأرضِ المُطمئِنُّ ، (مُمْرِعَة) مُخْصِبة .

بلغ الأول قراءةً عليَّ أيده الله .

٦ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي [3] قال : سَمعت أعرابيًّا من غَنِيٍّ يذكر مَطراً أصابهم في غِبِّ جَدْب فقال : تَدارَكَ رَبُّكَ خَلقَه ، وقد كَلِبَتِ الأمحالُ [4] ، وتقاصرتِ

---

(١) الانبعاق : مصدر انبعق المطرُ بالماء : إذا اندفع منهمراً : وتَبعّقَ مثلُه ، وسيل بُعاقٌ وبِعاق : شديد الدُّفعة ، وأنشد ابن بَرّي : (تَبعّقَ فيه الوابلُ المتهطّلُ) .

(٢) وفي اللسان (نهى) : والنِّهيُ : الموضع الذي له حاجزٌ ينهى الماء أن يَفيض منه ، وقيل : هو الغدير في لغة أهل نجد قال :

ظلّت بِنِهْيِ البَرَدانِ تَغتسِلْ تَشربُ منهُ نَهَلاتٍ وتَعِلْ

(٣) وتَرى هذا الخبر في أمالي القالي (١ : ١٧٣) يَرويه أبو علي عن شيخه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعيّ .

(٤) قوله (كَلِبَت) : اشتدّت و (الأمحال) جمع مَحل وهو الجَدْب ، يقال : كَلِبَ على الشيء كَلَباً : حَرَصَ عليه حرصَ الكلب ، وفي حديث عليّ : كتب إلى ابن عبّاس حين أخذ من مال البَصرة : فلمّا رأيتَ الزمانَ على ابن عمّك قد كَلِب ، والعَدوّ قد حَرِب ؛

الآمالُ ، وعكَفَ الياسُ (١) ، وكظِمَت الأنفاسُ (٢) ، وأصبحَ الماشي مُصرِمَا (٣) ، والمُترَفُ مُعْدِما (٤) ، وجُفيَت الحلائِل ، وامتُهِنَتِ العقائل (٥) ، فأنشأ اللهُ سحاباً رُكاما كَنَهْوَراً سجّاما (٦) ، بُروقُهُ مُتَأَلِّقَةٌ ، ورُعودُهُ مُتَقَعْقِعَةٌ (٧) ، فسَحَّ ساجِياً

(١) أي أقامَ في النفوس .

(٢) يقال : كَظَمَ الرجل غَيظَهُ إذا اجترعه وردَّه وصبر عليه وفي التنزيل الجليل : « والكاظمين الغيظ » ، وقوله (وكظِمت الأنفاس) أيْ من الغيظ والألم .

(٣) وفي حاشية الكتاب : الماشي ذو الماشية الكثيرة ، أراد أنه فَنِيَت ماشيته من الجدْب فلم تبقَ إلاّ صِرْمة : أي قطعة صغيرة من الإبلِ وهي ما بين العشرة والعشرين أو الثلاثين ، والمعنى : وأصبح الغنيّ فقيراً والمترف مُعدِماً ، فَكُرِهت النساء وابتُذلت الكرائمُ منهنّ بالخدمة .

(٤) قوله (والمترف معدما) وفي أمالي القالي (١/١٧٣) وفي اليدنية أيضاً : والمترب معدماً ، وكلا القولين صحيح ، فإن (أتْرَبَ) بمعنى قل ماله وكثر ماله من الأضداد . وهي هنا بمعنى استغنى وكثر ماله فصار كالتراب .

(٥) قوله (امتُهِنَت) أي ابتُذلت بالخدمة ، والعقائل كرائم النساء الواحدة عقيلة .

(٦) ومن أسماء السحاب (الكَنَهْوَر) كغضَنْفَر وهو المتراكم ، و(السَّجّام) الصبّاب ، و (متألقة) لامعة .

(٧) التَّقَعقع والقَعْقَعة : صوت الرعد في شدّة ، واشتقاقه من صوته ، ومنه قعقعة السلاح وما أشبهه .

راكداً[1] ثلاثاً غيرَ ذي فُواقٍ[2]، ثم أمرَ ربُّكَ الشمالَ فطَحَرتْ[3] رُكامَهُ[4]، وفرّقتْ جهامَهُ، فانقشعَ محموداً، وقد أحيا فأغنَى، وجادَ فأروَى، فالحمدُ للهِ الّذي لا تُكَتُّ[5] نِعَمُهُ، ولا تَنفَدُ قِسَمُهُ، ولا يَخيبُ سائِلُهُ، ولا يَنزُرُ[6] نائِلُه.

(١) قوله (فسحَّ ساجياً راكداً) أيْ صبَّ ماءه بسكون وركود ودوام مدةَ ليالٍ ثلاثٍ، قال أبو علي القالي: أنشدني أبو بكر ابن دريد قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه (الأصمعي) لدريد بن الصمّة:

وربّتَ غارةٍ أوضعتُ فيها كسَحِّ الماجريّ جريمَ تمرِ

(٢) الفُواق بضم الفاء: أن يَصُبَّ صبّةً ثم يسكن، ثم يصبّ أخرى ثم يسكن، وهو من فُواق الناقة الذي هو ما بين الحلبتين.

(٣) جاء في الهامش (طَحَرَ) دفعَ وأزال.

(٤) من أسماء السحاب وهو ما تراكم منه، والجَهامُ في نظام الغريب للرَّبَعي: السحابُ الذي قد هَراقَ ماءه واحدتها جهامة.

(٥) وجاء في الهامش على يسار (تكتّ): تُكَتُّ تعدّ، وفي حاشية: يقال بَحرٌ لا يغضغضُ ولا يُكتّ ولا يُنفج: أي لا يُنزف، قال أبو علي في أماليه (١/١٧٥): وتُكَتُّ تُحصَى أنشدني أبو بكر ابن دريد:

إلاّ بجيشٍ لا يُكتُّ عديدُهُ سُودِ الجلودِ من الحديد، غِضابِ

(٦) أي: ولا يقل، ومنه يقال: امرأة نَزُور ونَزُورة إذا كانت قليلة الولد، وقد يستعمل في الطير كما قال كثير:

بُغاثُ الطيرِ أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصقرِ مِقلاةٌ نَزُورُ

٧ ـ أخبرنا أبو حاتم (عن الاصمعيّ [١]) قال : كانَ شَيخٌ من الأعراب في خِبائهِ ، وابنةٌ له بالفِناء إذْ سَمِعَ رَعْداً فقالَ : ما تَرينَ يا بُنَيَّةُ ؟ قالتْ :

ـ أراها حَوّاء قَرْحاء كأنها أقرابُ أتانٍ قَمْراء [٢] ؛ ثم سَمِعَ راعِدةً أُخرَى فقالَ : كيفَ تَرَيْنَها ؟ قالتْ :

ـ أراها جَمَّةَ التَّرْجاف ، مُتَساقِطَةَ الأكْنافِ ، تتألَّقُ بالبَرْقِ الوِلافِ ، قال : هَلُمِّي المِغْزَقَةَ وانْأَيْ نُؤْياً [٣] .

قال أبو بكر : (حَوّاء) سوداء إلى الحُمرةِ كلَونِ الفرس الأَحْوَى ؛ (قَرْحاء) يُريد أنَّ البرقَ في أعاليها فكأنَّها قَرْحاء

(١) ما بين القوسين من الميدنية .

(٢) وفي المخصص (١٠٣/٩) قيل لأعرابي : أيُّ السَّحاب أمطرُ ؟ فقال : إذا رأيتها كأنها بطن أتانٍ قمراء فهي أمطر ما تكوُن .

(٣) وفي الأصل : إناي نُؤيًا بكسر الهمزة ، وهو خطأ . لأنه ليس من رمَى يرمي بل من سَعَى يسعَى ، وفي الميدنية : انأى نُؤْيا ، وهو الصواب لأنه ، إن كان من الثلاثيّ (نأى ينأى) فالتعبير الصحيح أن يقال : (إنأيْ نُؤياً) ، وإنْ كان من الرباعيّ (أنأى يُنئي) فإنه يقال : (أنئِي نُؤيا) ، و (النُّؤْي) : كلّ ما حَجزَ الماء عن الخيمة أكانَ حفرةً أم ترابا ، وفي اللسان : ونأَيْتُ النؤي أنأى ، وأنأيته ، وأنأيتُ الخباء عملتُ له نُؤيا ،

مثلُ الفَرسِ الأقرح [١] ، و (الأَقرابُ) الخُصورُ ، شَبّهها ببطنِ الأتانِ القَمْراء ، و (القُمرةُ) بَياضٌ كَدِرٌ ، (جَمّة) كثيرة ، و (التَّزجافُ) الاضطِرابُ ، و (الاكْناف) النَّواحي ، تقول : قد استَرْخَت نَواحيها لكثرة مائِها ؛ و (البَرقُ الوِلافُ) [٢] الذي يَبرُقُ بَرقَتينِ مُتَواليتين ، وهو لا يَكاد يُخلِفُ ، و (المِعزَقةُ) المِسْحَاةُ [٣] ، و(النُّؤيُ) تُرابٌ يُجمعُ حولَ البَيتِ لِئَلاّ يَدخُلَه المطرُ .

(١) وفي حاشية إلى جانب (الفرس الأقرح) الأقرح : الذي له نقطة بيضاء في موضع الغرة ، قلتُ وفي مبادىء اللغة للاسكافي : ومن شيات الوجه إذا كان في جبهته بياض كالدرهم أو أقل فهو أقرحُ ، فإن زاد عليه فهو أغرّ .

(٢) أي المتواصل قال رؤبة (ويومَ ركضِ الغارة الولافِ) قال ابن الأعرابي أراد بالولاف الائتلاف : قال أبو منصور : كان معناه في الأصل إلافاً فصيّر الهمزة واواً .

(٣) تعريف المعزقة بالمسحاة غير دقيق لأنها أداتان مختلفتان : أمّا (المِعزقة) فمن عزقَ الأرضَ إذا شقّها لاخراج الأعشاب الضارة منها ، وفي اللسان (عزق) : « ويقال لتلك الأداة التي تشقّ بها الأرض مِعزقة ومِعزق وهي كالقدوم وأكبر منها » ، وأمّا (المِسْحاة) فمن سحوت أو سحيت الطينَ عن وجه الأرض إذا جرفته ، فهي مجرفة كبيرة من حديد يستعملها ساحيان في بلاد الشام ، والمعزقة والمسحاة غير المرّ أيضاً ، وللأدوات الزراعية تعريفات دقيقة في كتب اللغة .

٨ ـ أخبرنا أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ قال :

وَقفَ أعرابيٌّ على أبي المَكْنُون النّحويّ وهو في حَلقته ، فسألَهُ فقال : مَكانَكَ حتّى أفرُغَ لكَ ، فدَعا واستَسْقَى فقال :(١) اللّهمّ ربّنا وإلهنا ومَولانا ، صَلّ على نبيّنا محمّدٍ ، ومَن أرادَنا بسُوءٍ(٢) فأحِطْ ذلكَ السُّوء بهِ كإحاطةِ القلائد بترائبِ الوَلائدِ(٣) ، ثم أرسِخْهُ على هامَتِهِ كرُسُوخ السّجّيلِ(٤) على أصحاب الفيلِ ، اللّهمّ اسقِنَا غيثاً ثرِيًّا(٥) طَبَقاً مَرِيعاً مُجَلْجِلاً مُسْحَنْفِراً ، هَزِجاً سَحًّا سَفوحاً غَدَقاً مُثْعَنْجِراً ، قال : فولّى الأعرابيُّ مُدْبِراً ، فقالَ له : مَكانَكَ حتّى أقضيَ حاجتَكَ ، فقالَ :

(١) وفي الليدنية : ثم قال

(٢) وكتب الناسخ فوق بسوء : بشرّ ، وكأنه أراد التفسير أو الاشارة إلى نسخة أخرى .

(٣) القلائد ج قلادة ، والولائد ج وليدة ، وجمع الوليد ولدان ، وهو كقولهم : (إحاطة السوار بالمعصم) .

(٤) السجّيل : حجارة من طين قال تعالى : (ترميهم بحجارة من سجّيل) وهو فارسي معرّب من (سنك) بمعنى حجر ، و (كيل) بمعنى طين .

(٥) ثريًّا أي كثيراً ، وفي الليدنية (مَريئًا) بتسهيل الهمزة ، وفيها (مَريعا تامّا) بدل (مريعاً) .

الطُّوفانُ وربِّ الكعبةِ ! حتّى أُأوي[١] عيالي إلى جبل يعصمهم[٢] من الماء !

قال أبو بكر : (الطَّبَقُ) المطرُ الّذي يُطبِّقُ الأرضَ ، و (المَرِيعُ) الّذي يُمْرِعُ أي يُخْصِبُ ، و (المُجَأْجِلُ) : الّذي تَسمعُ لرَعدِهِ جَلْجَلَةً أيْ صوتاً وهَدَّةً ، و (المُسْحَنْفِرُ) الجاري[٣] ، و (السَّحُّ) الصَّبُّ ، و (السَّفوحُ) المُنْسَفِحُ ، و (الغَدَقُ) الكثيرُ الماءِ ، و (المُثْعَنْجِرُ) الجاري حتّى يَملأَ الأرضَ[٤] .

(١) وفي الأصل آوي ، وإلى جانبها أأوي ، وفي الميدنية (أووي) بتسهيل الهمزة الثانية ، و (حتّى) قبلها تدلّ على أنه يريد أن يقول : انتظر حتى أووي عيالي ثم أرجع إليك لتقضي حاجتي .

(٢) وفي الهامش يعصمني ، وبعدها خ أي كما جاء في نسخة أخرى .

(٣) قال أبو حنيفة : المُسْحنفر الكثير الصّبّ الواسع قال :

أغرُّ هَزيمٌ مُسْتَهِلٌ ربابُهُ ... له فُرقٌ مُسْحنفراتٌ صَوادِرُ

(٤) وفي ل (ثعجر) الثّعْجرة انصبابُ الدمع . ثعجر الشيء والدّم وغيره فاثعنجرَ : صبّه فانْصبّ ، قال امرؤ القيس حينَ أدركه الموت ربّ جفنةٍ مُثْعَنْجِرة ، وطَعنة مُسْحنفرة . تَبقى غداً بأنقرة : فالمثعنجرة الملأى تفيضُ ودَكَاً ، والمثعنجر والمسحنفر : السيلُ الكثير ، وبلغني أن قبر امرىء القيس على ربوة بأنقرة ، وبه الترك قبر ملك العرب .

٩ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ، وأخبرنيه أبو عثمان عن التّوّزيّ عبد الله بن هرون عن مَنْ حدّثه قال: مررتُ بغلمةٍ من الاعراب يتماقلون[1] في غديرٍ، فقلتُ لهم: أيُّكم يَصِفُ لي الغيثَ وأُعطيه درهماً، فخرجوا إليّ وقالوا: كلُّنا يَصِفُ، وهم ثلاثةٌ، فقلتُ: صِفُوا، فأيُّكم رضيتُ[2] صِفتَهُ أعطيتهُ الدرهمَ، فقال أحدُهم:

عَنَّ لنا عارضٌ قصراً تسوقُه الصَّبا، وتحدوهُ الجَنوبُ[3]، يَحبو حبوَ[4] المُغتَنِك، حتّى إذا ازلأمّتْ صُدورُهُ، وانثجلتْ خُصُورُهُ، ورَجَعَ هديرُهُ، وأصعقَ زئيرُهُ، واستقلّ نشاصُهُ، وتلاءمَ خصاصُهُ، وارتعجَ ارتعاصُهُ، وأوفدتْ[5] سِقابُهُ،

(١) من (تماقلَ) والمَقْلُ: الغَمْسُ في الماء، قال في اللسان (مقل): ويقال للرجلين إذا تغاطسا هما يتماقلانِ.

(٢) وفي المبدئية: ارتضيتُ.

(٣) الصَّبا ريح الشرق، والجَنوب ريح الجنوب سميت باسم الجهة.

(٤) وفي المبدئية: حبوَ.

(٥) وفي الهامش: أوفدتْ أي علت وكلاهما صحيح لأنه يقال: أوفدَ الشيءَ رفعه وأوفد الشيءُ ارتفع قال ابن مقبل (الديوان ١٩/٦٥):

تراءت لنا يومَ الفرارِ بفاحمٍ وسُنّةِ ريمٍ خافَ سمعاً فأوفدا

أي رفع الريم رأسَه ونصبَ أذنيه.

وامْتَدَّتْ أطنابُهُ تَدارُكَ وَدْقُهُ ، وتألَّقَ برقُهُ ، وحُفِزَتْ تَواليهِ ، وانْسَفَحتْ عَزاليهِ [١] فغادَرَ الثَّرى عَمِداً ، والعَزازَ ثَئِداً ، والحَثَّ عَقِداً ، والضَّحاضِحَ [٢] متواصِيَةً ، والشِّعابَ مُتَداعِيَةً ،

وقال آخر [٣] :

تَراءَتِ المَخايِلُ من الأقطارِ ، تَحِنُّ حَنينَ العِشارِ ، وتَترامَى بشُهُبِ النَّارِ ، قواعِدُها مُتَلاحِكَةٌ ، وبواسِقُها مُتَضاحِكَةٌ ، وأرْجاؤها [٤] (متقاذفة ، وأرحاؤها) مُتَراصِفَةٌ ، فواصَلت [٥] الغَرْبَ بالشَّرقِ ، والوَبْلَ بالوَدْقِ ، سَحّاً دِراكاً ؛ مُتَتابِعاً لِكاكاً ، فَضَحْضَحَتِ الجَفاجِفَ ، وأنْهَرَتِ الصَّفاصِفَ ، وحَوَّضَتِ

(١) وفي الهامش : وانفسحت عَزاليه ، لديّ من أصل الكنديّ ، وفي هامش بعده جاء ما نصّه : [قال موهوب (انسفحت) هو الصّحيح ، والضحاضح أيضاً] ؛ قلت : وصاحب (الاجازة) التي في صفحة العنوان وهو عبد الرحيم بن عليّ السّلمي ، قد أخذ العلم عن موهوب الجواليقي ، فلعلّ هذا التصحيح هو بخط موهوب صاحب المعرّب رحمه الله .

(٢) وفي الهيدنيّة (الضحاضيح) على القياس .

(٣) هو الغلام الثاني .

(٤) وما بين القوسين من الهيدنية ، وقد سهّا عنه الناسخ في المتن هنا ، وأثبته في الشرح التالي ، فدلّ على صحة الهيدنية .

(٥) في الهيدنية : فوصلت .

الاصالِفَ ، ثم أقلعت مُحْسِبَةً محمودَةَ الآثارِ ، مَوْمُوقةَ (١) الحَبار ؛

وقال الثالث : وواللهِ ما خلتُه بلغَ خمساً (٢) :

هَلُمَّ الدِّرهَم أصِفْ لكَ ، قلتُ : لا ، أوْ تقولَ كما قالا ، فقال (٣) : والله لَأُبذَّنَّهما وَصْفاً ، ولأفوقَنَّهما رَصْفا ، فقلت : هاتِ للهِ أبوكَ ! فقال :

بينا (٤) الحاضِرُ بين النّاس والإبلاس ، قد غمرهمُ الإشفاقُ ،

---

(١) وفي الأصل والبدرية (موقوقة) . وفي الهامش : خ مومومة و خ مرموقة ، مما يدل على نسخ المعارضة حين قراءة الكتاب ، والخط يشبه خطّ موهوب ، وكثير من الهوامش بهذا الخط أيضاً ، و (الحَبار) بفتح الحاء الأثر ، مفرد ، والجمع حبارات ولا يكسّر .

(٢) وقلت لمن عجب أو استنكر من أصحابي فصاحة هؤلاء الصبيان وظنّها من صناعة المؤلف : لا تعجبَنّ فلعلّ من مُبَشّراتِ ذلك عليهم أنّ هؤلاء الصبيان كانوا في السنين الجدبة كثيراً ما يسمعون ، وهم في حلقات آبائهم في الخيام عبارات وصف الغمام فحفظوا كثيراً من جُمَل الصّفات ، فهم يَنضِدّونها عند الطلب كما تنضّد الحروف في المطابع ، ولو أنني وجدتُ لعمري أحداً من صبيان هذا الزمان يَصف لي بلغته العاميّة سحابةً أو ضبابة لأعطيته ديناراً لا درهما !

(٣) وفي نسخة : فقلت ، كما جاء في الهامش .

(٤) وفي نسخة : بينما .

ورَهبة الإملاق ، وقد حقبت [١] الأنواء ، ورَفرفَ البَلاء ، واستولَى القنوطُ على القلوب ، وكثُرَ من الذنوب : ارتاحَ ربُّكَ لعبادهِ فأنشأَ سَحاباً مُسنجَهِراً [٢] كَنهوراً مُعنَونِكاً مُحلَولِكا ، ثم استقلَّ واحزألَّ فصارَ كالسَّماء دونَ السَّماء وكالأرضِ المَدحوَّةِ فوقَ لَوحِ الهَواء ، فأخصبَ السُّهولَ ، وأتأقَ الهجُول [٣] ، فأحيا الرَّجاء وأمات الضَّرَّاء ، وذلك قضاء [٤] ربِّ العالمين.

قال : فَمَلأ واللهِ اليَفعُ [٥] صدري ، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم درهماً وكتبتُ كلامَهم .

قال أبو بكر : (عَنَّ) اعترضَ ، و (العارضُ) السَّحابُ يَعترِضُ في الأُفقِ ، وأكثرُ ما يكون ذلكَ معَ إقبالِ اللَّيلِ (والقصرُ) : العَشِيُّ ؛ وقولُهُ (يَحبُو حَبوَ المُعتَمِكِ) فالحَبوُ دُنوُّ الصَّدرِ منَ الأرضِ ، من ذلكَ حَبا الصَّبيُّ إذا زَحفَ وصَدرُهُ دانٍ

(١) وفي الهامش جاء تفسير (حقبت) : ضاقت وشحت .
(٢) المُسنجَهِرُ : اي يترقرق فيه الماء كما ذكره في الشرح ابن دريد ؛ واسنجهرَ السَّرابُ إذا ترقرَقَ وجرَى .
(٣) وفي الهامش : الهَجلُ المطمئنُّ من الأرض .
(٤) وفي الهامش : من فضلِ ، بدل قضاء .
(٥) وفي نسخة : الغلامُ .

من الأرضِ ، و (المُعتَنِكُ) البَعيرُ وغيرُهُ أيضاً الّذي يَصعَدُ في العانكِ من الرَّملِ ، وهو الكَثيبُ المُتداخِلُ مِن الرَّملِ يَشُقُّ على الصّاعدِ فيه ، والبَعيرُ إذا كُلِّفَ صُعودَهُ زَحَفَ فشَبَّهَ نُهوضَ السَّحابِ لِثِقَلِهِ بما فيه من الماءِ به قال رُؤبة[1] :

أوْدَيتَ إنْ لم تَحبُ حَبوَ المُعتَنِكْ

وقَولُهُ (ازلأَمَّتْ صُدورُهُ) أي انتَصَبَتْ[2] ، و (النَّشاصُ) ما انتَصَبَ من السَّحابِ[3] ، و (الخَصاصُ) الفُرَجُ ؛ وقوله

---

(١) في الأصل جاء في الشطر : (حبُوُ المُعتنِكْ) وبه ينكسر الشطر من الرَّجز ، والحَبْوُ المصدر والحُبوّ وزن دُنوّ الاسم ؛ وفي اللسان (عنك) وقد استشهد بقول رؤبة هذا ، وقال في شرحه على التشبيه ، هلكت إن لم تحل حمالتي بجَهد وقوله (أوديت) أي هلكت واعتنَكَ البعيرُ واستَعنكَ : حبا في العانك فلم يقدر على السير .

(٢) وارتفعت ، ويقال الرجل إذا نهض فانتصب : قد ازلأمّ ، وازلأمّ النهار والشيء إذا ارتفع قال كثير عزة :

تأرَّضُ أخفافُ المُناخةِ منهمُ مكانَ التي قد بُعِثتْ فازلأمّتِ

أي ارتفعت في سيرها .

(٣) وقيل : النَّشاص هو السحاب الذي يرتفع بعضه فوق بعض وهو من نَشَصَ ينشُص : ارتفع ، واستنشصت الريح السحاب : أنهضته ورفعته ونَشَصت المرأة عن زوجها ونشزت بمعنى واحد ، وهي ناشص وناشز ، والإبدال بين الزاي والصاد غير قليل .

(انْثَجَلَتْ) أي اتّسعت من قولهم : بَطْنٌ أثْجَلُ [١] ؛ وقولُهُ : (ارْتَعَجَ ارْتِعاصُهُ) الارْتِعاجُ : تَدارُكُ الحركاتِ ، والارْتِعاص : الاضطرابُ كما يَرْتَعِص الجَدْيُ من النَّشاطِ [٢] ؛ وقولُه (أُوقِدتْ سِقابُهُ) هذا مَثَلٌ ، والسِّقابُ : أعْمِدَةُ الخِباء ، فشبَّهَهُ بالخِباء الذي قد وقعَ ، و (الإيفـــاد) الرَّفع ، و (الأطْنابُ) حِبالُ الخِباءِ التي تُشَدُّ بالأوتادِ ،

وقوله (حُفِزَتْ تَواليه) أي أُعْجِلتْ ، وتَواليهِ : مآخيرُهُ ، و (انْدَفَعتْ عزالِيهِ) أي انصَبَّت ، والعَزالي : عَزالي المَزادةِ ، وهيَ مَخارجُ الماء من أسافِلها ؛ وقولُهُ (تَركتِ الثَّرى عَمِداً) أيْ رَطْباً يَجتمعُ في اليَد إذا جُمِعَ ؛ و (العَزازُ) الغِلَظُ منَ الأرضِ ؛ (ثَئِداً) نَدِيًا ؛ و (الحُثُّ) الرَّملُ اليابسُ ،

---

(١) أي ضخم متسع .

(٢) ارتعج وارتعش بمعنى متقارب وهو على البدل بين الجيم والشين قال أبو سعيد (الأصمعي) : الارتعاج والارتعاش والارتعاد واحد ، والارتعاج في البرق كثرته وتتابعه ؛ أمّا (الارتعاص) فهو الاضطراب والاهتزاز ، وارتعصت الشجرة اهتزّت ورَعَصتها الريح وأرعصتها ، وارتعص الجَدي والفرس طَفَراً من النشاط .

يقول : تَرَطَّبَ[1] حتَّى تعقَّد بعضهُ ببعضٍ[2] [قال الشاعرُ، أنشدناه عبد الرحمن عن عمّه :

حتى ترى في يابس الثَّرْباء حُثْ ... يَعجِزُ عن رِيِّ الطُّلَيِّ المُرْتَعِثْ]

و (الضَّحاضِحُ) ما تَضَحْضَحَ على الأرضِ من الماء ؛ و (المُتَواصِي) المُتواصِلُ، وقوله (الشِّعابُ مُتَداعِيَة) أيْ قد تَداعَتْ بالسَّيل .

وقول الثاني (تَراءت المَخايِلُ) جمعُ مَخيلة، وهو السَّحابُ الَّذي تَستَخِيلُ فيه المَطرَ ؛ وقوله (قَواعِدُها) يُريد أسافِلَها ،

(١) في الأصل يرطبه .

(٢) إن ما بين الحاصرتين قد كتبه الناسخ في الهامش ، ونراه من صُلْب شرح ابن دريد شاهداً على معنى (الحُث) ، يؤيّده ما جاء في اللسان (حثث) وهو ، الحَثُّ : الرَّملُ الغليظ اليابس الخَشِن قال :

حتى يرى في يابس الثَّرْباء حَثّ ... يعجز عن ريّ الطُّلَيّ المرتَعِث

ثم قال اللسان : أنشده ابن دريد عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عمِّه الأصمعي ا ه . قلت : و (الطُّلَيّ) في الشاهد تصغير طَلًى ، قال الجوهري : (الطَّلا) الولد من ذوات الظِّلفِ والخُفّ ، وقيل من أولاد الناس والبهائم والوحش من حين يولد إلى أن يَشتدّ ، والجمع أطلاء وطَلِيّ وطِلْيان ، فالطُّلَيّ بضم الطاء وفتح اللام تصغير الطَّلَى ، قال زُهير بن أبي سلمى :

بها العِينُ والآرامُ يَمشِينَ خِلفَةً ... وأطلاؤُها يَنهضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ

(مُتَلاحِكَةٌ) مُتَداخِلٌ بَعضُها في بعضٍ ، و (بَواسِقُها) أعاليها . (مُتَضاحِكَة) بالبَرقِ ؛ و (أَرْجاؤُها) نَواحيها ؛ (مُتَقاذِفَةٌ) متباعِدةٌ ؛ و (أَرْحاؤُها) أوساطها ؛ (مُتَراصِفَةٌ) مُتَراكِبة قد انْضمَّ بَعضُها إلى بعضٍ ؛ وقولُهُ (واصَلَت الشَّرقَ بالغربِ) أيِ امْتَدَّتْ من المَشرِقِ إلى المَغرِبِ ؛

وقولُهُ : سَحًّا دِراكاً : أيْ صَبًّا مُتَدارِكاً ، و (اللُّكاكُ) الزِّحامُ اللاَّصِقُ بَعضُه ببَعضٍ [1] ؛ و (الخَفاخِفُ) الغِلاظُ منَ الأرضِ ، الواحدُ خَفْخَفٌ [2] و (الصَّفاصِفُ) [الواحد صَفصَف] وهيَ الأَرْضُ الصُّلْبةُ المَلْساءُ دونَ الحجارةِ ، وأَصْلَبُ من الطِّينِ [3] ، و (حَوَّضَتْ) جَعلَتْ فيهــا حِياضاً ؛

(١) ويقال : التكّ الوِرْد التكاكا : إذا ازدحم وضرب بعضه بعضاً ومنه قول الراجز يذكر قليباً :

صَبَّحنَ من وَشحى قليباً سُكَّا يَطمو إذا الوِردُ عليه التكّا

(٢) وقد خلت المعاجم المطبوعة من هذا الحرف فما هو في القاموس بهذا المعنى ولا لسان العرب ، والذي جاء في القاموس : حَفحَفَ (الرجل) ضاقت معيشته .

(٣) وفي اللسان : وأرض صَفصَفٌ : ملساء مستوية ، وفي التنزيل : فيذرها قاعاً صَفصَفاً ، قال الشاعر :

(إذا رَكِبَتْ داوِيَّةً مُدلَهِمَّةً وغَرَّدَ حاديها لها بالصَّفاصِفِ)

و (الأصالِفُ) واحدها أصْلَفُ وصَلْفَاء ، وهو الصّلبُ مِنَ الأَرْضِ [١] .

وقولُ الثّالثِ : (هَلُمّ الدِّرْهَم) : أيْ هاتِهِ ، قال الأزهريُّ : هَلُمّ ، بمعنى أعطِ ؛ وهيَ هنا بهذا المعنى ، وقد تكون بمعنى تَعالَ وأقبِلْ ؛ وقولُه : (لأَبُذَّنّهما وَصْفاً) من قولهم : بَذَّ القومَ يَبُذُّهم إذا سَبَقهم وغَلَبهم ؛ و (الوَصْف) التّركيب ؛ و (الإبلاسُ) هو اليأس وهو مصدر قولهم أبلسَ الرجل إذا قُطِعَ به ، وأبلس من رحمة الله أي أُويسَ كما أويس ابليسُ ، وهو مشتق من ذلك ، و (الإشفاق) الخوف ، و (الإملاق) الفقر قال تعالى « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » أو « خَشْيَةَ الإمْلاقِ » في الآيتين ؛

وقوله : (حَقَبت الأنواء) : أي احتبست الأمطارُ يقال : حَقَبَ المطر حَقَباً : احتبسَ ، و (الأنواء) جمع نَوْء ، وهو

---

(١) قلت : ولم يفسر لنا ابن دريد (موموقة الحبار) فهي بمعنى (محمودة الآثار) التي قبلها لأن الحبار هو الأثر ، وكتب الناسخ بعد (من الأرض) في الهامش : (ولم يفسر قول الثالث) . وهو الغلام الوصّاف ولا غيره ، وقد فسرنا ألفاظه في الصفحة التاليـــة على الطريقة الدريدية لإكمال فائدة الكتاب .

وقت طلوع نجم في المشرق وانحدار نظيره في المغرب ، ويقول الأعراب : مُطِرنا بنَوء النجم الفلانيّ ؛ و (السّحاب المُسْجَهِرُ) هو الذي يترقرق فيه الماء ، و (الكَنَهْوَر) من السُّحب : المُتراكبُ الثَّخينُ ، وقال الاصمعيّ وغيره : هو قطع من السحاب أمثال الجبال ؛ و (المُغَنَوْنِكُ) من السحاب : المرتفع و (المحلولك) الشديد السّواد من احلولك الشيء ، وقالوا حالك ، وحانك على البدل ومحلولك وحُلكوك بمعنىً واحد .

وقوله : (ثم استَقلّ واحزألّ) : فاستَقلّ بمعنى ارتفعَ يُقال : استقلَّ الطائرُ في طَيرانه نهضَ للطَّيران وارتفعَ في الهواء ، ويُقال : احزألَّ السحابُ إذا ارتفع نحو بطن السماء ، والسماء أيضا المطر نفسُه يقال : وقعت في أرضهم سَماء وأصابتهم السماء قال جرير :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعَيناه وإن كانوا غِضابا

وقوله : (كالأرض المَدْحُوّة) أي المنبسطة قال تعالى : « والأرضَ بعد ذلك دحاها » و (لوح الهواء) اللّوح : الهواء بين السماء والأرض ، و (أحسَبَ السهولَ) كفاها من المطر ، و (أتأقَ الهجولَ) : أتاق مَلأ ، والهُجول والهِجالُ والأهجال

جمع هِجْل رزان عجل : الغائطُ يكون منفرجًا بين الجبال مطمئناً موطئه صلب ؛ و (اليَفَع) واليَفعَة واليافع : الشابّ وأيفعَ وتَيفَّع الغلام إذا شارف الاحتلام .

١٠ ـ أخبرنا أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ قالَ : سألتُ أعرابيًّا عن مَطرٍ أصابَهم بعدَ جَدْب فقال :

إرْتاحَ لنا ربُّك (١) بعدَ ما استَولَى اليأسُ على الظُّنُون ، وخامَرَ القُلوبَ القُنُوطُ ، فأنشأ بنَوْءِ الجبْهَةِ قَزَعَةً كالفَرْضِ من قِبَل العَيْن ، فاحْزأَلَتْ عِندَ تَرجُّلِ النَّهارِ لإرْزِيمِ السِّرار ، حتَّى إذا نَهَضَت في الأُفُقِ طالِعةً أمَرَ مُسخِّرُها الجَنوبَ فَتَنسَّمَتْ لها فانتَشَرتْ أحضَانُها ، واحْمَومَتْ أرْكانُها ، وبَسَقَ عَنانُها ،

(١) عبارة دالّة على جفوة الأعراب ، وهي بمعنى حنَّ علينا الله برحمته بعد قسوته ، وأصل الارتياح النشاط : قال رؤبة :

(فارْتاحَ ربّي وأراد رحمتي ونعمةً أتمّها فتمّتِ)

قال ابن منظور : أراد بقوله (فارتاح) : نظرَ إليّ ورحمني ، قال الأزهري : قول رؤبة في فعل الخالق قاله بأعرابيّته ، قال : ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ لأن الله تعالى إنّما يوصف بما وصف به نفسه ، ولولا أن الله تعالى ذِكرُه هدانا بفضله لتمجيده وحمده بصفاته التي أنزلها في كتابه ما كنا لنهتديَ لها أو نجترىء عليها ، قال ابن سيده : فأما الفارسيّ (أبو علي) فجعل هذا البيت من جفاء الأعراب كما قال :

لا همّ إنْ كنتَ الذي كعهدي ! ولم تغيّرك السنونَ بعدي

واكفهرّتْ رَحاها ، وانبَعَجَتْ كُلاها ، وذَمَرَت أُخراها أُولاها ، واستَطارَت [1] عَقائِقها ، فارتَعَجت [2] بوارِقُها ، وتَقَعْقَعتْ صَواعِقُها ، ثمّ ارْثَعَنّتْ جَوانِبُها ، وتَداعَتْ سَواكبُها ، ودَرّتْ حوالِبُها ، فكانَتْ للأرضِ طَبَقًا سحّ فَهَضَبَ ، وعمّ فأَحسَبَ ، فَعَلّ القِيعانَ ، وضَحْضَحَ الغِيطانَ ، وجَوّخَ الأضواجَ ، وأَتْرعَ الشِراجَ ، فالحمدُ للهِ الّذي جَعَلَ كِفَاءَ إساءَتِنا إحسانًا ، وجزاءَ ظُلمِنا غُفْرانًا .

قال أبو بكر : قولُهُ (بَنوْءِ الجبهة) الجَبْهةُ نجمٌ من نجوم الأَسدِ ، (و) نَوْءها مَحْمودٌ عندَهم [3] ؛ وقولُه (قَزَعة) هي القِطعة من السّحاب صَغيرة ؛ و (الفَرْضُ) التُّرس الصّغير [4] ؛ و (العَيْنُ) عَينٌ عن يمين القِبْلة ، وقولُه (فاحزَأَلّتْ) أي

(١) وفي الميدنية : ثم استطارت .

(٢) وفي الميدنية : وارتعجت .

(٣) وفي اللسان (جبه) : الجبهة : اسم مَنزلة من منازل القمر، الأزهريّ : الجبهة النجم الذي يقال له : جبهة الأسد وهي أربعة أنجم ينزلها القمر ، قال الشاعر :

إذا رأيتَ أنجمًا من الأسدْ
جَبهتَه أو الخَراتَ والكتَدْ
بالَ سُهيلٌ في الفضيخِ ففَسَدْ

(٤) وللفَرْض معانٍ منها التّرس قال صَخر الغَيّ الهذليّ :

أرقتُ له مثلَ لمعِ البَشيرِ ... يُقلّبُ بالكفّ فَرْضًا خَفيفاً

ارتفعت ؛ و (تَرَجُّلُ النهار) انبساطُ الشمس ؛ و (الإزميمُ) إحدَى ليالي السِّرار ، وهي ثلاثُ ليالٍ من آخرِ الشهر [١] ؛ وقوله (انتشرت أحضانها) أي انبسطت ، والأحضان : النَّواحي ؛ وقوله (احمَوْمت أركانُها) أي اسودّت بلونِ الحُمّةِ [٢] ، وهو سواد تخلطه حُمرة ؛ و (بَسَق) ارتفعَ ، و (العَنان) السَّحاب ، وقوله (اكفَهَرّت) أيْ كَثُفت ، و (رَحاها) وَسَطها ، وقوله (انبَعجت كُلاها) هذا مَثَلٌ ، والكُلْية [٣] ما تَعيَّنَ من السِّقاء أو القِربة حتّى رقّ ورَشَح منه الماء ، فشبّهَ مَخارجَ المطرِ من السّحاب بذلك ،

(يتبع) عز الدين التنوخي

---

(١) التهذيب : والإزميم الهلال إذا دقّ في آخر الشهر واستقوس وقال ذو الرمّة :

قد أقطع الخرقَ بالخرقاءِ لاهيةً كأنّما آلُها في الآلِ إزميمُ

(٢) وفي الأصل : الحُوّة ، وفي الهامش (الحُمّة) وهي أصحّ لمناسبة (احمَومت) ، والحمّة في اللغة دون الحُوّة .

(٣) وفي حاشية : والكُلْية رقعة تكون تحتَ عُروة المزادةِ والدّلو ، و (انبعجت) انشقّت صح .

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرواد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزديّ

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

-٣-

وَقوله : (ذَمَرَت أُخراها أُولاها [١]) هذا مَثَلٌ (أيضاً) [٢]،

---

(١) الذَّمْر الحَثّ والحَضّ مع لوم واستبطاء، والقوم يَتذامرون: أيْ يحض بعضهم بعضاً على الجدّ في القتال ومنه قول عنترة :

لما رأيت القومَ أقبل جمعُهم ... يَتذامرون كررتُ غيرَ مُذَمَّمِ

(٢) مابين القوسين من الميدنية ، والمعنى يقتضيه .

كأنه حضَّ بعضُها بعضًا على المطرِ ؛ و (اسْتَطارَتْ عقائِقُها) أي انتشرت ، والعَقائِقُ واحدتها عَقيقةٌ ، وهي البَرْقةُ المستطيلة في عُرْض السَّحابِ ؛ وقوله (ارْتَعَجتْ بَوارِقُها) أيْ تَدارَكَ بعضُها في إثْر بَعضٍ ؛ وقوله (تَقَعْقَعَتْ صَواعِقُها) : أيْ سُمِعت لها قَعْقَعةٌ ، وهي حكاية صوتِ الرّعد ؛ وقوله (ارْثَعَنَّتْ جَوانبُها) يقول اسْتَرخت لكثرة ما فيها من الماء [1] ؛ وقَوله (تَداعت سَواكبها) كأنّه دَعا بعضُها بعضاً بالماء ؛ (درّت حَوالبُها) هذا مَثَلٌ [2] (أيضًا) ، (كانت للأرض طَبَقًا)

---

(١) وارثعنّ الرجلُ : استرخى لضعفه ، وجاء مُرثعناً : ساقطَ الأكتاف أي مسترخيا ، قال ابن برّي وشاهد الارثعنان بمعنى الاسترخاء قول أبي الأسود العجلي :

لمّا رآهُ جَسْرَةً مُجِنّا
أقصرَ عن حسناءَ وارْثَعَنّا

(٢) وفي أمثال الميداني (١/٢٦٦) دَرّت حَلوبةُ المسلمين : يعني بذلك فيأم وخراجَهم حين كثرا ، وفي ل (حلب) وحوالب البئر منابع مائها ، وكذلك حوالب العيون الفوّارة قال الكميت :

تدفّق جُوداً إذا ما البحا ر غاضَتْ حوالبُها الحُفّلُ

أي غارت موادّها ، قلت ومثل ذلك حوالب السّحاب .

أي غَطّت الأرضَ كلها فَرِضَبَت : أيْ جاءت بالماء دُفْعَةً بعدَ دُفْعة ؛

وقَوْلُه (فَعَمَّ وأَحسَبَ) أي عَمّت الأرضَ[1] ولم تَخُصَّ مَوضعًا دون مَوضع ، وأحْسَبَها : أيْ أعطاها ما هو حَسْبُها ؛ (فَعلَّت القِيعانَ) العَلَلَ السَّقيةَ الثانية ؛ (ضَحْضَحَ الغِيطانَ) أيْ تركَ فيها ضَحاضِحَ ، وهو الماء الرقيق السائح على وجه الأرض ليسَ بالكثير ، واحدُ الغيطان غائطٌ . وهو البطن الغامض من الأرض ؛ وقوله (جَوَّخَ الأَضْواجَ) أيْ هَدَّمَ الأَجرافَ ، والضَّوْجُ : المُنعطَف من الوادي ، و (الشِّراجُ)[2]

(١) وفي الميدانية : أي عَمّ الأرض ولم يَخُصّ موضعاً دون موضع والضمير هنا يعود إلى الطَّبق ، وهو مذكر ، وفي (عمّت الأرض) يعود إلى القزَعة .

(٢) الشِّراجُ : جمع شَرْج بالتسكين : مَسيل الماء من الحِرار إلى السهولة ، والجمع أشراج وشِراج وشُروج ، وفي الحديث : فتنحّى السحابُ فأفرغَ ماءَه في شَرْجَةٍ من تلك الشِّراج : الشَّرْجةُ مَسيلُ الماء من الحَرّة إلى السهل ، والشَّرْجُ جنسٌ لها ، وقال أبو ذؤيب يصف سحاباً :

لهُ هَيدبٌ يَعلو الشِّراج وهَيدبٌ   مُسِفٌّ بأذنابِ التِّلاعِ خَلوجُ

أَمْسِلَةُ الماء من الغِلَظِ إلى بُطونِ الأَوْدِيةِ وهي المُسْلان (١).

بلغت قراءة علي أيده الله تعالى

١١ ــ أخبرنا عبدُ الرّحمن عن عَمّهِ قال سمعتُ أعرابيًّا من بَني عامر بن لُؤيّ بن صَعْصَعَةَ (٢) يَصِفُ مَطرًا فقال :

نَشأَ (٣) عند القَصْرِ بنَوء الغَفْرِ حَبِيًّا عارِضًا ، ضاحكًا وامِضًا ، فكَلا ولا ما كانَ حتّى شَجِيتْ به أقطارُ الهواء ، واحْتَجبتْ به السّماء ، ثمّ اطّرقَ فاكْفَحرَّ ، وتراكَم فادْلَهمَّ ، وبَسَقَ فازْلأمَّ ، ثم حدَتْ به الريحُ فحنَّ ، فالبَرقُ مُرتعِجٌ والرّعدُ مُتبوِّجٌ ، والخُروجُ تَنْبَعِجُ ، فأَثْجَمَ ثلاثًا ، مُتَحيّرًا هَثْهاثاً ، أَخلافُهُ حاشِكَةٌ ودُفَعُهُ مُتَواشِكَةٌ وسَوامُهُ مُتَعارِكَةٌ ؛

(١) قال الأزهريُّ : الاكثر في كلام العرب في جمع مَسيل الماء مَسايل غير مهموز (لأنه من سال يسيل) ومن جَمَعَه أمْسِلةً ومُسْلانًا فهو على توهّم أن الميم في مَسيل أصلية ، وأنه على وزن فعيل اه ، ويطلق السيل على ماء المطر إذا سال ، وعلى المكان الذي يسيل فيه ماء السيل .

(٢) ومرّ بنا وصف المطر لأعرابيّ من بني عامر بن صعصعة في الخبر الرابع مما يدلّ على قدرة بني عامر على وصف السحاب .

(٣) والفاعل محذوف للعِلم به وهو السحاب .

ثمّ ودّعَ مُنْجِماً ، وأقْلعَ مُتْهِما ، محمودَ البَلاء ، مُتْرَعَ النِّهاء ، مَشكور النَّعْماء ، بِطَوْلِ ذي الكِبْرياء .

قال أبو بكرٍ : (القَصْرُ) [١] العَشيُّ ؛ و (الغَفْر) من نُجوم الأَسد [٢] ؛ و (الحَبِيُّ) الدّاني من الأَرض [٣] ؛ و (العارض) المُعترض في الأُفق : و (الوامض) الذي برقُهُ وَميضٌ يقال : وَمَضَ البرقُ وأوْمَضَ إذا لَمع كالتَّبسُّم ؛ وقوله : (فكَلاَ وَلاَ ما كانَ) أيْ كقولكَ : لا وَلا ، في السُّرعة [٤] ؛

(١) القَصْر والمقصِرُ والمقصرة العَشيّ ، يقال : أتيتُه قَصراً كما تقول : جئته عَصْراً أي عشيّاً ، وقَصَرَ العشيُّ إذا أمسيت قال العجاج :

(حتى إذا ما قَصَر العَشيُّ)

(٢) وفي الهامش : العقرب بدل (الأسد) ، وفي اللسان (غفر) : الغَفر منزل من منازل القمر ثلاثة أنجم صغار ، وهي الميزان .

(٣) الجوهريّ : والحَبيُّ من السحاب الذي يعترض اعتراض الجبل قبل أن يُطبّق السّماء قال امرؤ القيس :

أصاحِ تَرى برقاً أريكَ وميضَه كلمع اليدين في الحَبيّ مُكلّلِ

ويقال : سُمّي حَبيّاً لدنوّه من الأرض فعيل بمعنى فاعل كأنه لدنوّه يحبو على الأرض وهو بهذا يشبه تفسير ابن دريد .

(٤) والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعلٍ أو ظهور خفيّ قالوا كان فعله (كَلاَ) في سُرعة اللفظ ، وربما كرّروا (لا) فقالوا : كلا ولا ، وعليه قول الشاعر : (يكون نُزول القوم فيها كلا ولا) .

مُحمّد بن عَبّادٍ (المهلّبيّ) [١] عن ابن الكلبيّ ، عن أبيهِ ، عن أشياخٍ من بَني الحرث بن كَعب قالوا : أجدَبتْ بلاد مَذْحِج ، فأرسَلوا رُوّادًا من كلّ بَطْنٍ رَجُلاً ، فبَعثت بَنو زُبَيْد [٢] رائِدًا ، وبَعثت جُعفِيٌّ [٣] رائدًا ، وبَعثت النَّخَعُ [٤] رَائدًا ، فلمّا رجَع الرُّوّادُ قيلَ لرائد زُبَيد : ما وَراءكَ ؟ قال : رأيتُ أرضاً مُوشِمَةَ البِقاعِ ناتِحةَ النِّقاعِ مُسْتَحلِسَةَ الغِيطانِ

(١) ما بين الأقواس من الميدنية .

(٢) زُبَيد قبيلة من اليمن ، وزُبيد بطن من مذحج رهط عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي .

(٣) وإلى جانبه من الهامش : جُعْفٌ ؛ قلت وجاء اسم القبيلة بالوجهين ، وفي اللسان (جعف) : وجُعْفيّ من همْدان (أبو قبيلة من اليمن) وهو جُعْفيّ بن سَعد العشيرة من مذحج ومنهم عُبيد الله بن الحرّ الجُعفيّ قال لبيد :

قبائل جُعْفيّ بنِ سَعدٍ كأنّما سَقَى جمعَهم ماءَ الزُّعاف مُغيمُ

قال ابن بري : جُعْفيٌّ مثل كُرسيّ في لزوم الياء المشدّدة في آخره ، فإذا نسبتَ إليه قدّرت حذف الياء المشدّدة وإلحاق ياء النسب مكانها ، وقد جمع جمعَ روميّ فقيل جُعْفٌ قال الشاعر :

جُعْفٌ بنجرانَ تجرُّ القَنا ليس بها جُعْفيٌّ بالمَشْرعِ

(٤) النّخَع قبيلة من الأزد من ولد سعد العشيرة رهط إبرهيم النّخعيّ الذي كان من أكابر التابعين حفظاً للحديث وصلاحاً وصدقَ رواية .

ضاحكةَ القَرَيانِ واعِدَةً وأحرِ بوَفائها ، راضيةً أرضُها عن سَمائها ؛

وقيلَ لرائدِ جُعْفِيٍّ : ما وَراءكَ ؟ فقالَ :

رأيتُ أرضاً جمعت السَّماءُ أقطارَها فأَترَعتْ أصبارَها ودَيَّثتْ أوعارَها ، فبُطْنَانُها غَمِقَةٌ ، وظُهرانُها غَدِقَةٌ ، ورياضُها مُستَوسِقَة ، ورَقاقُها راتِخٌ وَواطِئُها سائِخٌ ، وَماشِيها مَسرورٌ ، ومُصْرِمُها مَحسُورٌ ؛

وقيل للنَّخَعِيِّ : ما وَراءكَ ؟ قالَ :

مَداحِي سَيلٍ ، وزُهَاءُ لَيْلٍ ، وَغَيْلٌ يُواصِي غَيلاً (١) ، قد ارْتوتْ أجرازُها ودُمِّثَ عَزازُها والْتَبَدتْ أقوازُها ، فَرائِدُها أنِقٌ ، وراعِيها مُسْنِقٌ ، فلا قَضَضَ ولا رَمَضَ ، عَازِبُها لا يَفزَعُ ، ووارِدُها لا يُنكَعُ ، فاختاروا مَراد النَّخَعِيِّ .

قولُ الأَوّل . — قال أبو بكر قوله : (رأيتُ أرضاً موشِمة البقاع) : (يقال) أوشَمتِ الأرضُ ، إذا بَدا فيها النباتُ ؛ و (الناتِحةُ) : الراشِحةُ ؛ (استَخلَستِ الأرضُ) : إذا

(١) وفي التيمورية : وغَيل مُواصي غَيل ، ولعله الصواب مجاراةً للسجع .

تجلَّلَت بالنبات ؛ و (الغائطُ) : مُطمئِنٌ من الأرضِ ؛ و (القُرْيانُ) : واحدُها قَرِيٌّ ، وهي مَجاري الماء من الغِلظ إلى الرّياض ؛

قولُ الثاني . ــ قال أبو بكر قولُهُ : (رأيتُ أرضاً جَمعتِ السَّماء أقطارَها) يُريد أنّ السماء أَلَطَّت [١] علَيها ، وكأنّها جَمَعتْ أكْنافَها ، والسماء : المطر هٰهنا ، يقال : أَصابتنا سماء ، ومازِلنا نَطَأُ السّماء حتى جئناكم : أيْ مواقع الغَيث ؛

وقَولُه : (أترعَتْ) : أيْ مَلأَت ؛ أَصْبارَها : أعاليها ؛ وقوله : (دَيَّثَتْ) : أيْ ليّنتْ [٢] ؛ (أَوْعارَها) : غِلَظَها ، و (الغَمِقَةُ) : النَّدِيَّةُ ؛ و (البُطْنانُ) : ما غَمُضَ من الأَرضِ ، و (الظُّهْرانُ) : ما غَلُظَ ، و (الغَدِقَةُ) : الكثيرةُ

---

(١) وفي الليدنية : أطلّت عليها فكأنّها جمعت أكنافها ، ولكلٍّ من التعبيرين وجه ، فإنّ أطلّت أي ارتفعت السماء عليها ، والسماء هنا السحاب ، وألطّ الشيءَ سَتَره وأخفاه ، وفي هامش الأصل : ألطّت صحّ ، وهي بخط موهوب .

(٢) دَيّثَ الطريقَ وَطّأه ، ومثله : دَيّثت السماء أوعارها ودَيّث البعيرَ : ذلّله حتى ذهبت صعوبته ، وفي حديث عليّ : ودُيِّث بالصغار : أي ذُلِّلَ ، ومن المجاز : دَيّث الأمر لَيّنه بعد ما كان صعباً .

النَّباتِ والنَّدَى ، (المُسْتَوسِقَة) هٰهنا : المتَّصلُ بعضُها ببَعضٍ ؛ و (الرَّقاقُ) : الأَرض التي يَركبها رملٌ يَسيرٌ يَخلطه طينٌ[١] ؛ و (الرَّاتِخ)[٢] الطينُ الذي قد أُكثِر ماؤهُ حتى صارَ كالعجينِ اللَّيِّنِ ، يَقول : فمن وَطِئَها ساخَ فيها ؛ و (الماشي) : صاحبُ الماشِية ، و (المُصْرِمُ) ههنا الذي لا ماشيةَ له[٣] ، مَحْسُورٌ لما يَرَى .

قولُ الثالث . ـــ قوله : (مَداحِي سَيلٍ) : أيْ قد جَرى فيها السيلُ ودَحاها حتّى اسْتَوت ولانَ وجْهُها ؛ (زُهاءُ لَيلٍ) : أيْ كأنها ليلٌ من شِدَّة خُضْرتها ، والزُّهاءُ الشَّخصُ ، و (الغَيْلُ) : الماءُ الجاري في بُطون الأوديةِ يَتخلّلُ الحجارةَ[٤] ؛ (يُواصي) :

(١) وفي الهامش : الطّين ، والرَّقاق بالفتح (ل / رقق) : الأرض السهلة المنبسطة اللينة التراب تحت صلابة ؛ وقال الأصمعيّ : الرَّقاق الأرض اللينة من غير رمل وأنشد :

كأنها بينَ الرَّقاقِ والخَمَرْ ... إذا تَبارينَ شآبيبُ مَطَرْ

(٢) الرَّتوخ اللّصوق ، ورتَخَ العجينُ رَتْخاً إذا رَقّ فلم يتخبز ، وكذلك الطينُ فهو راتخ زَلِقٌ ، ل (رتخ) .

(٣) وقد سبق لنا في الخبر السادس تفسير الماشي والمصرم .

(٤) وفي الهامش : هذا قول الأصمعي ، وقال أبو عبيدة : الغلل الماء بين الشجر .

يُواصل ؛ (والأجْرازُ) : الأرَضونَ التي لم يُصبها مَطَرٌ ؛ (دُمِّثَ عَزازُها) أيْ لُيِّنَ : صار دَمِثاً ، والدّمث الأرض السهلة ، والعَزاز : الأرض الصلبة الغايظة[1] ، و (التَبدتْ) دَخلَ بعضُها في بَعضٍ ؛ و (الأقْواز) : واحدها قَوْزٌ[2] ، وهي رمالٌ تستدير وتَنعطِف نحو الأحقاف ؛ (رائدُها أنِقٌ) ، الأنِق : المعجَب بها ؛ و (راعيها مُسْنِقٌ) ، تقول : تَسْنَقُ ماشيتُه أيْ تَبْشَمُ من كثرةِ المَرْعَى ؛

وقولُه : (فلا قَضَضَ ولا رَمَضَ) ، يقول : الأرض قد

---

(١) وقال ابن شميل : العَزاز ما غلظ من الأرض وأسرعَ سيلُ مطره ، وقال أبو عمرو في مسايل الوادي أبعدُها سيلًا : الرُحبة ثم الشُعبة ثم التَّلعة ثم المِذْنَب ثم العَزازة .

(٢) وفي الهامش : وجمعُ القَوز أقواز وقِيزان قال الراجز : (لما رأى الطير وقيزانَ الغَضا) وفي المخصّص (١٠/١٣٦) : والقَوز نقّا مُستدير ، ابن دريد : جمعه أقواز وأقاوز وقيزانٌ وأنشد :

وُمخَلّفاتٍ بالثجَينِ كأنّما أعجازُهنّ أقاوِزُ الكُثبانِ

أبو حنيفة : القَوْزُ يَنعطف من الرّمل فيكون مثل الهلال ، وهو يُنبت نباتاً كثيرًا .

أَبَسها النبتُ فليسَ فيها قَضَضٌ ، والقَضَضُ : الحصَى الصِّغار [1] ، والرَّمَضُ : أن تَحْمَى الأَرضُ من الشمسِ ، يقول : فليس هناكَ رَمَضٌ لأنَّ الأَرض مُجلَّلَةٌ بالنَّبت ، فلا يُرمَضُ واطِئُها ،

وقولُه : (عازِبُها لا يفزعُ) : أي من عَزَب فيها ، وبعُد من النَّاس لم يَخفْ ، (وَمن رَعاها لم يُنكَعْ) [2] : أيْ لم يُمنَع : لأنَّه غير محظورٍ عليه لكثرتِه [3] .

بلغت قراءته عليّ أيده الله !

١٣ ــ أَخْبَرَني عَمِّي عن أبيهِ عن ابن الكَلبيِّ قالَ :

خَطَبَ ابْنَةَ الخُسِّ الإِيادِيَّةَ [4] ثلاثَةُ نَفَرٍ من قومِها ،

---

(١) ومثله قولُ الأعرابيِّ قيل له : (كيف رأيتَ المطرَ قال : لو أَلقيْتَ بَضعَةً ما قَضَّتْ : أيْ لم تَتَرَّبْ من كثرة العشب ولم تقعْ على القَضَض ، وهو الحصى .

(٢) وفي ل (نكع) ونكَعَهُ حقَّه حبسه عنه ونَكَعَهُ الوِرْدَ منعه إياه وأنشد سيبويه (٤٣٦/١) :

بني ثُعَلٍ لا تنكَعوا العنزَ شِرْبَها بني ثعلٍ من ينكَعِ العنزَ ظالمُ

أنشده لرجل من بني أسد شاهداً على حذف الفاء من الجواب ضرورة .

(٣) وليس في الليدنية (لكثرته) .

(٤) هي هند أو جمعة الإيادية من شهيرات نساء العرب بالفصاحة .

فارْتَضَت أنسابَهم وجَمالَهم ، وأرادتْ أن تَسبُرَ عقولَهم ، فقالت لهم : إِنّي أريدُ أن تَرْتادُوا لي مَرعىً ، فلَمّا أتَوْها قالت لأحدِهم : ما رأيتَ ؟ قالَ : رأيتُ بَقلاً وبُقيْلاً ، ومَاءً غَدَقًا سَيْلا [١] يَحسَبه الجاهلُ لَيلاً ؛ قالتْ : أمْرَعتَ ؛ وقال الآخر :

رأيتُ دِيمةً بعدَ دِيمةٍ ، على عِهادٍ غيرِ قَديمةٍ ، فالنّابُ تَشْبَعُ قبلَ الفَطيمة [٢] ؛ وقال الثّالث :

رأيتُ غَيْثًا ثَعْدًا مَعْدًا ، مُتَراكِبًا جَعْدًا ، كأفخاذِ نِساء بني سَعدٍ تَشبَعُ منه النّابُ ، وهيَ تَعْدو .

تفسيرُ قول الأول . ــ قال أبو بكر قوله : (بَقلاً وبُقَيلاً) ، يقول : بَقلٌ قد طالَ وتحتَه غُميرٌ قد نَشَأَ [٣] ؛ و (ماء

(١) ورواية اللسان (سيل) وماءً غللاً سيلا ،

(٢) وسيمر بنا هذا القول في المطر مستقلًا في الخبر العشرين من هذا الكتاب .

(٣) وشرحه اللسان فقال : منه ما أدْرَكَ فكبِرَ وطالَ ، ومنه ما لم يُدرك فهو صغير .

غدَقاً سَيْلا) : أيْ كثيراً ؛ (يحسَبه الجاهلُ ليلاً) : من كثافتهِ وشدة خُضرتهِ .

قَول الآخر . ـــ قال أبو بكر : (دِيمة بعدَ دِيمة) : على إِثْرِ ديمَة ، الدِّيمة : المَطرُ يدوم أياماً في سُكونٍ ولينٍ ، (والعِهادُ) : أوّلُ ما يُصيب الأرضَ من المطَرِ ؛ (تشبعُ منه النّابُ قبلَ الفَطيمةِ) : يُريدُ أنَّ العُشبَ قدِ اكْتَهَلَ وتَمَّ ، فالنّابُ ، وهي المُسِنَّةُ من الإبلِ تَشبع قبل الصَّغيرة ، لأنَّها تَنال [١] الكَلأَ ، وهي قائمة لا تطلُبُهُ ، ولا تَبْرح من مَوْقفها ، والفَطيمةَ تَتَبَّعُ ما صَغُر من النبتِ .

قولُ الثالث . ـــ قال أبو بكر : (الثَّعْدُ) : الغَضُّ ، و (المَعْدُ) إتباعٌ ؛ و (الثَّرَى الجَعْدَ) : الذي قَد كثُر نَداهُ ، فإذا ضَمَمْتَه بيَدِكَ اجتمعَ ودَخلَ بعضُهُ في بعضٍ كالشَّعَر الجَعْدِ ؛ وقوله : (كأفخاذِ نِساء بني سَعدٍ) : أرادَ في غِلَظِ الأفخاذ ، وخَصَّ نساء بني سعدٍ لأَنَّ الأَدْمَةَ فيهم

---

(١) وفي الميدنية : تناوَل الكلأ .

كثيرةٌ ؛ وقولهُ : (تَشبَعُ النّابُ وهي تعدو) : هذا نحو كلامهم الأوّل يقول : النَّبتُ قد ارتفعَ وطالَ ، فالنّابُ : أي المُسِنَّةُ من الإبلِ تعدو وتأكلُ لا تطأطِئ رأسَها .

١٤ ــ أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة [١] قال : خرجَ النُّعمانُ في بَعض أيامهِ في عَقِبِ مَطَرٍ [٢] ، فلقِيَ أعرابيًّا على ناقةٍ لهُ ، فأَمَرَ فأُتِيَ بهِ ، فقالَ : كيف تَركتَ الأرضَ وراءكَ ؟ فقالَ : فيحٌ رحابٌ ، منها السُّهولُ [٣] ومنها الصِّعابُ ، مَنْشوطةٌ [٤] بجبالِها ، حاملةٌ لأثقالِها ، قال : إنّما أسألكَ عن السّماء ، قالَ : مُظِلَّةٌ مُستَقِلَّةٌ على غير سِقابٍ ولا أطناب ، يختلفُ

(١) وسند هذا الخبر في ديوان المعاني (٢/٨) : أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة .

(٢) وفي الهامش : عقِب سماء ، وفي الليدنية كذلك ، ورواية ديوان المعاني مثل روايتنا بنزع الخافض ، والسماء والمطر هنا واحد .

(٣) في ديوان المعاني : السهولة .

(٤) في ديوان المعاني : منوطة بجبالها ، ولهذه الرواية وجه ، وروايتنا (منشوطة) بمعنى مُشَبَّثة ومثقلة بأوتاد الجبال ، وفي الحديث : كانت الأرض تميد فوق الماء فنشطها الله بالجبال فصارت لها أوتاداً ، وفي الحديث أيضاً : كانت الأرض هِفًّا على الماء فنشطها الله بالجبال أي أثبتها وثقلها .

عَصْرَاها ، وَيَتعاقَبُ سِراجاها ؛ قال : ليس عن هذا أسألك ، قال : فَسَلْ عمّا بدا لك ، قالَ : هل صَابَ[1] الأَرضَ غَيْثٌ يُوصَف ؟ قال : نعمْ ، أغمَطَتِ السّماءُ في أرْضنا ثلاثاً رَهْوًا[2] فَثَرّتْ ، وأرْزَغَتْ ورسّغَتْ ، ثمّ خَرجتُ من أرْضِ قومي أقْرُوهَا مُتَواصِيَةً لا خَطيطَةَ بينها حَتّى هَبَطْتُ تِعْشَار[3] . فَتَداعَى السحابُ من الأَقطار ، فجاءَ السَّيلُ[4] الجَرّار ، فَعَفّى[5] الآثارَ ، ومَلأ الجفارَ ، وقَوّبَ عَاديّ الأَشجار ، فأَجْحَرَ الحُضّار ، ومَنَع السُّفّار ، ثمّ أقْلَعَ عن نَفْعٍ وإِضْرار ، فلَمّا اتْلأَبّتْ ليَ القِيعان[6] ، ووَضَحت السُّبُل في الغِيطان ، تَطَلّعتْ رِقابُ العَنانِ من أقطارِ

(١) وفي الديوان : هل أصاب الأرض غيث ، و (صاب) هو الصواب .

(٢) في الأصل (زَهْوًا) ولها وجه لقول الأصمعي : يقال لكل ساكن لا يتحرك : ساجٍ ورَاهٍ وزاه .

(٣) موضع بالدهناء ، أو ماء لبني ضَبّة قال ابن الطريف :

الا لا أرى وصلَ المُسِفّة راجعاً ولا لياليناً بتعشارَ مطلبا

(٤) وفي الميدنية : فجاء بالسيل الجرّار .

(٥) وفي ديوان المعاني : فعفا الآثار .

(٦) وفي ديوان المعاني : (فلمّا اتلأبّت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان) ورواية (اتلأبّت لي) أصح وأوضح ، فانّ (اتلأبّ) بمعنى انتصب وارتفع : أي فلما ارتفعت وظهرت لي القيعان بعد انحسار السيل الجرّار .

الأغنانِ، فلم أجِدْ وَزَرًا إلا الغيرَان ، فقاءتْ جَارُ الضَّبُعِ [1] فغادَرتِ السُّهولَ كالبحَارِ تتلاطَمُ بالتَّيار ، والحُزُونَ مُتَلَفَّعَةً بالغُثاء ، والوُحوشَ مَقذُوفَةً على الأَرجاء ، فما زلتُ أطأُ السَّماء ، وأخوضُ الماء ، حتَّى طَلَعتُ أرضَكم .

قال أبو بكر : (رِحابٌ فيحٌ) : واسِعة ؛ (الصَّعابُ) : الحُزونُ والغِلَظُ ؛ (مَنْشوطة) [2] : مُثْبَتةٌ لا تَزُول ؛ (حامِلَةٌ لِأَثقَالِها) : لِمَن عليها من الناسِ وغَيرهم ؛ (مُطِلَّةٌ) : أيْ مُرْتفعة ، وكذا مُستَقِلَّةٌ ؛

وقوله : (بغيرِ سِقابٍ ولا أَطنابٍ) : فالسِّقابُ : أعمِدةُ الخِباء ، والأَطنابُ : الحِبالُ المَشدودةُ إلى الأَوتادِ ، هذا مَثَل ؛

وقَوله : (يختلفُ عَصراها) : الليلُ والنهار ، و(سِراجاها)

---

(١) وفي ديوان المعاني (فقات وجار الضب) والرواية الدريدية هي الصحيحة . وتفسير ابن دريد يؤيد ذلك ، ويؤيده ابن الأعرابي بقوله : يقال للمطر الذي لا يدع شيئاً إلا أساله وجَرَّه : جاءنا جارُّ الضبع ، ولا يجرّ الضبُع إلا سيل غالب ، على أن السيل الجرّار يجرّ الضّباع والضبابَ والأوبار .

(٢) وكتب الناسخ تحتها : منوطة .

الشمس والقمر ؛ (وأغمَطتِ السّماء) : أي دامَ مَطرُها ؛ وقوله : (رَهْوًا) أي ساكنًا ؛ وقوله : (فثَرّتْ) : أيْ تركت الأرضَ ثَرِيّةً ؛ وقوله (أرْزَغَتْ) : أيْ تَركت في الارضِ رَزَغَةً ، والرّزَغَةُ والرّدَغَةُ واحدٌ ، وهو الطينُ الذي لا يَغَطّي القَدمَ ؛ وقوله : (ثمّ رَسّغَتْ) ، يقول : بَلغ الماء الرُسْغَ ؛ قوله : (أطأ السّماء) : أي آثار السّماء من المطرِ ؛ (مُتواصِيةً) : مُتّصلةً بَعضُها ببَعضٍ ؛

و (الخَطيطةُ) : أرضٌ لم يُصبها مَطرٌ ، بين أرضينِ مَطورتين و (تِعْشار) : موضع ؛ (تَداعَى السّحابُ) : أيْ أقبَلَ [يدعو بعضُها بعضاً] ؛ و (الأَقطارُ) : النّواحي ؛ (فَعَفّى الآثار) : أي طَمَسَ الطُّرقَ ؛ (وقَوّبَ عادِيّ الأشجارِ) : أيْ قَلَعَها من أُصولِها ؛ (أجحَرَ الحُضّار) : أيْ ألزمهم بُيوتَهُم ، ومنعَ المسافِرين عن الحركة ؛ (وأقْلعَ عن نَفْعٍ وإضْرار) : يقول : نَفَعت عواقِبُهُ ولو ضَرّ[1] لِكثرتِهِ ؛ (إتلأَبّت القِيعانُ) : أيْ وَضحت ؛ (ووَضحتِ الغيطان) : أيْ استَبانَت الطُّرُقُ ؛

(١) في الأصل : (وضَرّ) ، والتصحيح من الهامش ، ولو ضَرّ لكثرته .

(العَنانُ) : السَّماء[١] ، الواحدة عَنانةٌ ، و (الأَعْنـــانَ) : نَواحي السَّماء ، واحدها عَنَنٌ وعَنٌ ، قال الأصمعيُّ : لاأعرفُ لها واحداً .

وقوله : (فلم أَجِدْ وَزَرًا) : أيْ مَلْجأً ؛ و (الغيران) : واحدها غارٌ ، وهو الكهف في الجبل ؛ (قفاءتْ جارٌ الضَّبُع) : قاءت من القَيْءِ ، وهذا غاية ما يُوصَف به المطر من[٢] الكَثْرةِ ، والمَعنى أَنَّه يَجُرُّ الضَّبعَ من وِجارها ؛ غَادرت : تركت السَّهول كالبحار ، يقول : كَثُرَ الماء فلمْ يَسُخْ في السهول لكثرته ، وسَرب السَّهل من الماء أكثر من الحَزْنِ ؛ فاذا بَقِيَ الماء عَلى السَّهلِ فهو الغايةُ ؛ و (التَّيّارُ) : المَوْجُ ؛ و (الحُزونُ مُتَلَفِّعَةٌ بالغُثاء) : الحُزونُ : الغِلَظُ من الأرض ، فاذَا حملَ السَّيلُ الغُثاء فصار على الحُزُون نَضَبَ الماء من تحتِهِ فبقيَ في موضعه ، والوُحوشُ مَقْذوفةٌ على الأَرْجاء ، يقول : قد غَرِقتِ الوحوشُ فهي مَطروحة على أَرْجاء الأَرض أيْ نواحيها .

---

(١) وفي الميدنية : السَّحاب .

(٢) وفي الميدنية : في الكثرة .

وقولهُ : (فما زِلتُ أطأُ السّماء) : أيْ أطأُ المطرَ ، والعَرَبُ تسمّي آثارَ المطرِ في الأرضِ السّماء [١] .

١٥ ــ أخبَرَنا أبو حاتمٍ عن أبي عبيدةَ قالَ :

وقف أعرابيٌّ على قَوْمٍ من الحاجِّ فقالَ : يا قوم ، بَدْوُ شاني [٢] ، والذي ألفَجَني إلى مَسألتكم، أنّ الغَيْثَ كان قد قَوِيَ عنّا ، ثمّ تكَرْفأَ السّحابُ ، وشَصأَ الرّبابُ ، فادْلهَمّ سَيّقهُ ، وارْتجَسَ رَيّقهُ ، وقلنا : هذا عَامٌ باكِرُ الوَسْمِيِّ ، محمُودُ الشّمِيِّ ؛ ثمّ هَبّتْ له الشّمالُ ، فاحزَألّتْ طَخاريرُهُ ، وتقزّعَ كِرْفئُهُ مُتَياسِرًا ، ثمّ تتابَعَ [٣] لمعانُ البَرْقِ حيثُ تَشِيمُهُ الأبصارُ وتحُدُّهُ النُّظّارُ ؛ ومَرَتِ الجنوبُ ماءهُ ، فقوّضَ الحيُّ مُزْلَئِمّينَ نَحْوَهُ ، فَسَرَحْنا المالَ فيه ، وكان وَخمًا [٤] ، فأَسافَ المالَ ، وأَضفّ الحالَ ، فرحِمَ اللهُ امرَءًا جادَ بِمَيْرٍ ، أوْ دلّ على خيرٍ [٥] .

(١) على سبيل المجاز المرسل من إطلاق السبب وإرادة المسبّب .

(٢) وفي الميدنية : بَدْءُ شأني ، ومعنى الأصل : ظهور شأني من بَدا يبدو بَدْواً .

(٣) وفي الميدنية : تتَبّعَ .

(٤) وفي الميدنية : وخماً وخيماً .

(٥) أو دلّ على الخير في الميدنية .

(★) تفسيره ــ . قوله : أَلْفَجَني ، أي اضطرَّني ، قال أبوزيد : أَلْفَجَني إلى ذلك الاضطرارُ إِلْفاجاً .

وقوله : (الغَيْث قَوِيَ عَنّا) : أيْ احْتَبَسَ عَنّــا ، قال أَبوعمرو الشَّيْباني : وقد قَوِيَ المطر يَقوَى إذا احتبس .

وقوله : (شَصَا الرَّبابُ) ارتفع .

وقولهِ : (فادلهمَّ سَيّقُهُ) ، ادلهمَّ أظلم ، والسَّيِّقُ من السحابِ مَا طَرَدَتْهُ الرِّيحُ ، و (ارتَجَسَ رَيِّقَهُ) : رَيِّق المطر أوَّل شُؤبوبِهِ ، وارتجَسَ سمعتَ لهُ رجساً ، وهو صَوْتُه بهدَّةٍ شديدة .

و (الشُمِيّ) جمع السَّماء أي السَّحاب ، وتجمع على أسْمِيَة وسَمٰوات .

و (احْزَأَلَّتْ طَخارِيرُه) : أي انتصبت سَحائبُه الرِّقاق جمع طُخرور وطُخرورة ، وهي سحابة رقيقة مُستَدِقَّة .

و (تَقَزَّع كِرْفئُهُ) أي تَفرّق مُتَراكمَه ، وفي الصّحاح : الكِرْفئ السَّحاب المرتفعُ الذي بعضُهُ فوق بعْض ، والقَزَعُ في الأصل : كلّ شيء يكون قِطَعًا متفرّقة ، ومنهُ قيلَ لقِطعِ السَّحابِ قَزَعٌ .

(★) هذا التفسير للناشر ، وفي هذا الكتاب عدة أخبار خلت من تفسير أبي بكر ابن دريد ومن قوله في أولها : (قال أبو بكر) وقد فسّرناها وجعلنا أول تفسيرنا : (تفسيره) كذا وكذا .

وقولُه : (مُزْلئِمِّينَ نحوه) ، المُزْلئِمُّ الذاهِبُ مُسْرِعًا ، أو المُرْتَفِعُ في سيرِه ، ومَرَّ بنـــا (ازْلأَمَّتْ صُدُورُه) أي ارْتَفَعَتْ وانتَصَبَتْ .

قولُهُ : (فَأَسافَ المالَ) ، قال ابنُ السِّكِّيت : أَسافَ الرَّجُلُ إذا هَلَكَ مالُهُ ، ويُقالُ : أسافَ اللهُ مالَهُ (وإبلَهُ) أي أهلكَهُ ورماهُ اللهُ بالسُّوافِ : وهو الموت في المال والنّاس أيضًـــا .

و (أَضفَّ الحالَ) : أي ضَيَّقَها ، قال أَبو زَيْد : الضَّفَفُ الضِّيقُ والشِّدَّةُ .

١٦ ـ أَخبَرَنا أَبو حاتم عن أبي عُبَيدةَ (١) قال : قلتُ لأَعرابيّ : ما أَسحُّ الغيثِ ؟ فقالَ : ما أَلقَحَتْهُ الجنوبُ ومَرَتْهُ الصَّبا ، وتَتَجَتْهُ الشَّمالُ ؛ ثمّ قالَ : أَهلَكَ واللَّيْلَ (٢) ، ما يُرَى إلاّ أنّهُ قد أَخَذَهُ المَطَرُ .

١٧ ـ أَخبَرَنا أَبو حاتمٍ عن العُتْبِيِّ (٣) قال : حدَّثني أبي قالَ :

(١) جاء هذا الخبر في الأزمنة (٢/١٢٤) عن أبي عبيدة أيضاً .

(٢) كما جاء في الهامش ، وفي الأزمنة وفي الأصل : أصابتنـــا .

(٣) وجاء هذا الخبر في الأزمنة (٢/١٢٣) عن غير ابن الأعرابيّ باختلاف قليل .

خَرَجَ الحَجّاجُ إِلى ظَهْرِنا هذا ، فَلَقِيَ أعراباً قد انْحَدَرُوا لِلْميرَةِ فقالَ : كَيفَ تَرَكْتُم السَّماءَ وراءَكُمْ ؟ فقال مُتَكَلِّمُهُمْ :

أصابتنا سَماءٌ بالمِثْلِ (١) مثلِ القَوائِمِ حَيثُ انْقَطَعَ الرِّمْثُ (٢) بضرب فيه تَقْتِيرٌ ، وهو على ذلك يُعَضِّدُ وَيُرَسِّغُ (٣) ؛ ثم أصابَتْنا سَماءٌ أُمَيْثِلُ (٤) منها تُسِيلُ الدَّمَاثَ (٥) والتَّلْعَةَ الزَّهِيدَةَ ، فلما

(١) وكذا في التيدنية ، وفي الأزمنة ، وقوله (بالمثل) يريد بالتشبيه ، أي بلغ نزول الماء في التراب بطول القوائم .

(٢) الرِّمْثُ (Haloxylon Schveinfurthü) نبات برّي من الحمض في بادية الشام ينسب الى الفصيلة السَّرمقيّة ، وهو قريب من جنس الحَرَض الذي تستخرج منه الصودة (معجم الألفاظ الزراعية) .

(قلت) وهذا القول صحيح فهو يشبه الحرض وهو من الحمض الذي تحبّه الإبل ، ولا يزال عرب بادية الشام يسمونه الرِّمث ، وقد رأيته وعرفته أيام فِراري من جور الترك ببادية الشام .

(٣) وقوله (يُعَضِّد) يُقال : أعْضَدَ المطرُ وعَضَّد : بلغَ ثَراه العَضُدَ ، أي غاصَ مَاؤه في التراب فبلغ طول العَضُدِ ، وكذا يقال : أرْسغَ المطرُ ورَسَّغَ : أي بلغ ماؤه قدرَ الرُّسغ في التربة ولا يزال أعرابنا اليوم في بواديهم يستعملون مثل هذا التعبير في تقدير عمق الثرى في التربة الزراعيّة .

(٤) وفي الأزمنة : (أمثل منها) أي أفضل ، وفي نسختنا (أُمَيثل منها) بالتصغير أي أمثلُ منها قليلاً ، و (الدّهاث) في الأزمنة : (الدماث) .

(٥) الدِّماثُ والأدماثُ جمع دَمْثٍ ، وهي السهول من الأرض التي لا يَسيل ماؤها بسُرعةٍ لأنه يمكث فيها لاستوائها فتمتصه ، والمطر النهر يَسيل ماؤه لشدّته فيها ؛ وقد جاءت (الدِّماث) في التيدنية وفي نسختنا (الدهاث) مصحّفة ، لأن الدَّهث بالمثلثة معناه الدفع في القاموس واللسان .

كنّا حِذاءَ الحفَر أصابنا [1] ضِرْسٌ جوْدٌ مَلأَ الإخاذ [2] ، فأَقبَلَ الحجّاجُ على زيادِ بن عمروٍ العَتَكيّ [3] فقال : ما يَقولُ هذا الأعرابيُّ ؟ فقال : وما أنا وما يقول ؟ إنّما أنا صاحبُ رُمحٍ وسيف فقال : بل أنتَ صاحبُ مِجْذاف [4] وقلْس ، اسْبَحْ ، فجعل يَفْحَصُ الثّرَى ، ويقولُ : لقد رأيتُني ، وإنّ المُصْعَبَ [5] ليُعْطِيني مائةَ ألفٍ ، وها أناذا أَسْبَحُ بينَ يَدَي الحجّاج !

(يتبع) عز الدين التنوخي

---

(١) وفي الأصل والأزمنة : أصابتنـا ، وفي الهامش : أصابنا ، وهو الصّواب .

(٢) وهي المصانع جمعُ إخذ .

(٣) نسبة إلى العَتيك وهم من أسْد عُمان الذين منهم المهلّب بن أبي صُفرة ، ونُعام بن الحارث كان من فرسان عُمان في آخر الجاهلية وأوّل الإسلام ، وهو أوّل رجل أغار على الفرس بعُمان ، ومنهم زياد بن عمرو العَتَكيّ الذي رأسَ الأسْدَ بعد مقتل مَسعود بن عمرو المعني . وكان الحجاج ولّى زياداً هذا شُرَطه ، ثم ولاّه الاهواز . (الاشتقاق لابن دريد) . وفرسان عمان اليوم يقارعون الاستعمار بزعامة إمامها البطل الغالب بن علي حمد الله بلاءه وخذل أعداءه ، وضمّ نجم عمان إلى لواء قومه العرب قريباً !

(٤) وفي الميدنية : بالدال المهملة ، واللفظان صحيحان ، و (القَلْس) حبل السفينة الغليظ .

(٥) هو المصعب بن الزبير بن العوام (٢٦ – ٧١ هـ) شقيق عبد الله ابن الزبير أحد الولاة الابطال في صدر الإسلام .

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرواد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

- ٤ -

١٨ _ أخبرنا عبدُ الرحمن عن عَمّه (١) قال : سألَ أعرابيٌّ رجلين من الأعراب : أين مُطِرتُما ؟ قالا : مُطِرْنا بمكان كذا وكذا ،

(١) وجاء هذا الخبر في كتاب الأزمنة للمرزوقي (١٣٢/٢) قال (الأصمعي) وزعم أبو صالح التميمي ان رجلاً من العرب سأل اعرابيين فقال أين مُطِرتما ؟ إلى آخر الخبر باختلاف .

قال : فما أصابكما من المَطر ؟ قالا : حاجتُنا ، قال : فماذا سُيِّلَ عليكما ؟ قالا : ملْنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مُكَسَّراً [١] سالتْ مُعْنَانُهُ ، ومِلنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مُشْطِئًا [٢] ، قال: فماذا وجدتُما أرض بني فلان؟ قالا: وجدناها مَمطورةً قد ألَسَّ غمـيرُها ، وأخْوَصَ شجرُها ، وأدْلَسَ نَصِيُّها [٣] ، وألَثَّ سَخْبَرُها ، وأخْلَسَ حَليُّها ، ونَبَّبت عِجْلَتُها .

قال أبو بكر: قوله(وَجدناه مُكسَّرًا) : يَقول قد سالت جرْفته و (مُعْنانُه) : جَوانبُه [٤] ؛ و (مُشْطِئ) : قد سال شُطْآنُه [٥] ، وهو جمع شاطئ ، ولم يَسِلْ بأجمعه ، وقولُه : (ألَسَّ) : أيْ أمكن أن تَلُسَّهُ الماشيةُ أيْ تَرعاه ؛ و(أخْوَصَ الشجرُ) : قال أبو بكر: أحمدُ ما يكون المطرُ إذا كان الخوصُ وافراً ، و(النَّصِيُّ)

(١) نسي الناسخ كتابتها في المتن هنا وكتبها في التفسير ، وهي في الليدنية .

(٢) وفي نسخة (مُشْطِياً) بتسهيل الهمزة .

(٣) في الأزمنة : (وأخلسَ نصيها) ، والصواب وأدلس نصيُّها .

(٤) مُعْنان جمع مَعِين كرَغيف ورُغفان ، وهو الماء السائل على وجه الأرض ، من مَعَن الماء سال وجرى ، ويجمع أيضاً على مُعُن ومُعُنات ، وهي المسايل والجوانب .

(٥) وفي الهامش : شاطئاه وشَطّاه وفي الليدنية : شَطّاه .

ضربٌ من النبت، وهو يَبيس الحَلِيِّ[1]؛ (أدْلَسَ): أورقَ واسْودَّ، و(ألَثَّ سَخْبَرُها) اللثَّا صَمْغٌ أيْ صارَ فيه الصَّمغُ[2]، والسَّخْبَرُ شجرٌ؛ (أخلَسَ حَلِيُّها)، الحَلِيُّ نَبْتٌ؛ أخْلَسَ: أي صارَ لونَين، وكلُّ [ذي] لونين خَليسٌ من شِدّة خُضْرةِ الوَرق[3]؛ و (العِجْلة): بَقلةٌ مُسْتَطيلةٌ معَ الأَرضِ؛ وقوله: (إذا نبَّبَتْ): أي صارَ لها أنابيبُ.

---

(١) وفي اللغة: النَّصي نبت سَبط أبيض ناعم من أفضل المراعي ويقال له نَصِيٌّ ما دام رطباً، فإذا ابيضّ فهو الطَّريفة، فإذا ضخم ويبس فهو الحَلِيّ، قال الشاعر:

(نحن مَنعنا منبتَ النَّصيِّ ومَنْبتَ الضَّمرانِ والحَلِيّ)

(٢) اللثَّا أو اللثّى وزان الفتى، وجاء اللثأ بالهمز واللثّ أيضاً صمغ أو ماء خاثر يخرج من بعض الشجر كالثمام والسخبر، ولثّ الشجر وألثّ عن ابن سيده: خرج منه اللثّى، والسخبر كما يقول أبو حنيفة يشبه الثمام وله جرثومة كأن ثمره مكاسح القصب، وقيــل السخبر شجر الثمام وقوله: (ألثّ سخبرها) أي خرج لثاه وصمغه، وليس في اللغة (أليثَ) بمعنى ألثّ المشتقة من اللثّى، لأنها من مادة أخرى، وقد جاءت في الأصل (أليث سخبرها) وهو من عمل الناسخ، ومثله جاء في الليدنيّة، والتصحيف يسهل بين ألث وأليث والله أعلم.

(٣) ويقال: أخلستِ الأرضُ والنباتُ خالط يبيسُها رَطبَها (الصحاح).

١٩ ـ حدّثنا عبدُ الرحمن عن عمّهِ قال : قال أبو المُجيبِ ، وكان أعرابيًا من بني رَبيعةَ بن مالكٍ بن زيد مناةَ بنِ تميم(١) :

لقد رَأيتُنا في أرضٍ عَجْفاء وزَمان أعْجَفَ(٢) ، وشَجر أعشمَ(٣) في قُفٍّ غليظٍ ، [وجادّة مدرّعة غبراء](٤) فبينا نحن كذلكَ إذْ أنشأ الله من السَّماء غيْثًا مُسْتَكِفًا(٥) نَشْؤُهُ ، مُسْبَلةً عَزالِيه ،

(١) وقد جاء هذا الخبر مرتين في أزمنة المرزوقي (٢/١١٤ و ١٣٦) مُشوّهًا مع اختلاف في ترتيب الجمل ، ويرويه الأصمعيّ عن أعرابيّ من ربيعة وهو أبو المجيب الرّبَعي يصف جدبًا وغيثًا ، وجاء آخر هذا الخبر مبتوراً في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (٢/٧) ، وجاء أيضا في المخصّص مع اختلاف قليل ، هذا ، واسم أبي المجيب الرّبعي راوي هذا الخبر مَرْثد ، وهو من فصحاء الأعراب ووصّافهم للغيث والسحاب ، وممّن روى عنهم ابن الأعرابي ، وله ذكر في كتب الأدب كالبيان والتبيين وغيره

قال : فما أصابكما من المَطر ؟ قالا : حاجتُنا ، قال : فماذا سُيِّلَ عليكما ؟ قالا : مِلْنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مُكَسّراً(١) سالتْ مُعْنَانُهُ ، ومِلنا لوادي كذا وكذا فوَجدناه مُشْطِئًا(٢) ، قال: فماذا وجدتُما أرض بني فلان؟ قالا : وجدناها مَمطورةً قد ألَسّ غَميرُها ، وأخْوَصَ شجرُها ، وأدْلَسَ

ضخامًا قَطْرُهُ(١) جَوْدًا صَوْبُهُ زاكيًا أنزلَهُ اللهُ(٢) رِزْقًا لنا، فنَعَشَ بِهِ أموالَنا، ووَصَلَ به طُرُقَنا، فأصابنا، وإنا لَبِنَوْطَةٍ بَعيدةٍ [بين] الأَرْجاء(٣) فاهْرَمَّعَ(٤) مَطَرُها، حتّى رَأَيْتُنا، وما نَرَى غيرَ السَّماءِ والماءِ وصَهَواتِ الطَّلْحِ(٥)، فضَرَبَ السَّيلُ النِّجافَ، ومَلأَ الأَوْديةَ فرَحَبَها، فما لَبِثْنا إلاَّ عَشْرًا حتى رأيتُها روضةً تَنْدَى.

٢٠ ــ أخبرنا عبد الرحمن عن عَمِّهِ قال: قال أعرابيٌّ:

(١) وفي المخصص والأزمنة: (عظاماً قطره).

(٢) وفي المخصص بعد (أنزله الله): جلّ اسمه.

(٣) وفي المخصص والأزمنة (بنوطة بعيدة بين الأرجاء) بزيادة (بينَ)، و (النَّوطَة): الأرض يكثر بها الطلح وليست بوادٍ.

(٤) الاهرمّاع: الانحدار، وفي الليدنية (فاهرمّع مطره) وقال ناشرها في تعليقة له: وفي نسخة (مطرها).

(٥) الطلح من العِضاه، ولها شوك أحجن وثمر الطلح كثمر السَّمر، وفسر الطلح بالموز في قوله جلّ ذكره «وطلح منضود» كما جاء في المصباح واللسان، قال ابن السكيت: وهو غير معروف في اللغة، و (صهوات الطلح) أعاليه، قال صاحب ديوان المعاني: وقوله (ما رأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح) غاية في صفة كثرة المطر.

ليس الَحيا بالسُّحَيِّبة[1] تَتبع أذنابَ أعاصيرِ الرّيح ؛ ولكن كلّ ليلةٍ مُسْبِلٍ رِواقُها ، منقطعٍ نِطاقُها[2] تبيتُ آذانُ ضَأنِها تَنطِفُ حتّى الصباح .

٢١ ــ أخبرنا عبدُ الرحمنِ عن عَمّهِ قال : قيل لأَعرابيّ : كيفَ كان كَلأً أرضكَ ؟ فقالَ :

أصابتنا دِيمَةٌ بعدَ ديمةٍ ، على عِهادٍ غَير قَديمةٍ ، فالنَّاب تَشبَعُ قبلَ الفَطيمة[3] .

---

(١) وفي اللّيدنية : بالسحيّنة وهو تصحيف .

(٢) وفي الليدنية : بطاقها ، وهو تصحيف أيضاً ، ونسختنا بالاجمال أصح من الليدنية ولله الحمد .

(٣) مرّ بنا هذا الجواب في الخبر ١٣ من في حديث ابنة الخس الايادية ، وهو في المخصص (١٠/١٧٧) ونصه فيه : قالوا : وبعث رجل بنين له يرتادون في خصب فقال أحدهم : رأيتُ ماءً غللاً بسيل سَيْلاً ، وخوصُه تميل ميلا يحسبها الرائد ليلا ؛ وقال الثاني : وجدت ديمة على ديمة في عهادٍ غير قديمة تشبع بها الناب قبل الفطيمة . وتسيره : (الغلل) الماء يجري في أصول الشجر ، (ويحسبه ليلا لفرط خضرته ، والأخضر يُرى أسود وهو بعيد ، و (الديمة) السحابة الدائمة لا رعد فيها ولا برق ، و (العِهاد) جمع عَهْد وهو لوسمي فيه المطر ومن بعده الوَلِيّ ، (وتشبع منه الناب) كناية عن فرط الكلأ والخصب ، و (الفطيمة) تشبع قبل الناب فلا يُهتم بها ولا تذكر .

٢٢ ـ أخبرنا عبدُ الرحمن عن عَمِّه قال شَامَ أعرابيّ بَرقاً فقال لابنته : أُنْظُري أين تَرَيْنَهُ ؟ فقالت :

أناخَ بِذي بَقَرٍ بَرْكَهُ كأنَّ على عَضُدَيهِ كِتَافا

ثم قال لها بعد قليل : عودي فَشِيمي ، فقالت :

نحته الصَّبا[١] ومَرَتْهُ الجَنُوبُ وانْتَجفتهُ الشَّمالُ انْتِجَافا

٢٣ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأَصْمعيّ قال : خرج صالح بن عبد الرحمن يَسير بين الحيرة والكوفة فإذا هو براكبٍ فقال : مِمَّن أنتَ ؟ فقال : من بني سعد فمَن أنتَ ؟ فإني أرَى بِزّةً ظاهرةً وجلدةً حسنةً . فقال بعضُ أصْحابِ صالح : أتقول هذا للأَمير ؟ فقال صالح : دَعوه فلم يقلْ إلاّ خيراً ، ثم استخبره عن المطر فقال :

أقبلتُ حتّى إذا كنتُ بينَ هذا الحَزْنِ والسَّهل ، وفي كُفَّةِ النَّخلِ رأيت خَريجًا من السّحاب مُنكَفتَ الأَعالي، لاحقَ التَّوالي، فهو غادٍ عليك أو سَارٍ ، يُسَيِّلُ السُّلاّنَ[٢] ويُرْوِي الغُدران .

(١) في الأصل : لقحته الصبا ، وفوق (لقحته) كتب الناسخ (نَحَتَه) أي قصدته وأصابته ، وبذلك يستقيم وزن المتقارب .

(٢) جاء في هامش بإزاء (السُّلاّن) : سالٌ وسلاّن وغالٌ وغلاّن وهو الوادي فيه شجر السِّدر .

٢٤ ـ أخبَرنا أبو حاتمٍ قال حدَّثنا الأصمعيُّ[١] قال: أُخْبِرتُ عن عبدالملك بن عُمَير قال: كنتُ عند الحجاج بن يوسُف فقال لرجلٍ من الشام[٢]:

ـ هل أصابكَ مطرٌ؟ فقال:

ـ نعم أصابنامطرٌ[٣] أسالَ الإكامَ[٤]، وأدْحَضَ التِّلاع[٥]،

---

(١) ورواية كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١٤١/٢) لهذا الخبر أكثر تفصيلا، ولهذا نشرناه برمته في ذيل هذا الكتاب (فوائت أخبار الرواد والأمطار).

(٢) في الليدنية: من أهل الشام.

(٣) في الليدنية: أصابني.

(٤) الإكام جمع أكم كجبال وجبل، والاكَمَ جمع أكمة وهي التل أو الرابية.

(٥) الدّحْض الزلق والإدحاض الإزلاق، و (دَحَضَ) لازم متعدّ و (أدحض) متعد لا غير، وقد جاء النصّ في اللسان (دحض) وهو: وفي حديث الحجاج في صفة المطر: فدحضت التــلاع: أي صيّرتها مَزلقة.

وخَرَقَ الرَّجْعِ[١] ، فجئتكَ في مثل مَجَرِّ الضَّبُعِ[٢] ؛ ثم سأل رجلاً من أهل الحجاز :

ـ هل أصابكَ مطرٌ ؟ ، قال[٣] :

ـ نعم ، سَقتني الأَسْمِيَةُ فَغَيَّبَت الشِّفار ، وأُطْفِئتِ النّار ، وتَشكّت النِّساء[٤] ، وتَظالَمت المِعْزَى[٥] ، فاحتُلبَتِ الدِّرّة بالجِرّة ؛

(١) الرَّجْع هنا المطر لأنه يرجع مرة بعد أخرى ، والمطر يخرق الأرض بشدة وقعه .

(٢) مر تفسير جرّ الضّبع في الخبر الرابع عشر ، قال شمِر سمعت ابن الأعرابي يقول : جئتك في مثل مَجَرّ الضّبع : يريد السيل قد خرق الأرض فكأن الضّبع جُرّت فيه .

(٣) وجواب هذا الرائد الحجازي للحجاج في المخصّص (١٠/١٨٢) في خبر مستقل هذا نصه : وسأل الحجاج رجلاً قدم من الحجاز عن المطر فقال : تتابعت علينا الأسمِية حتى منعت السُّفّار وتظالمت المعزى واحتلبت الدّرة بالجرّة . قال : واحتلاب الدرة بالجرة أن المواشي تتملأ ثم تربض فلا تزال تجتر إلى حين الحلب .

(٤) أي اتخــذن الشكوة لأن اللبن لم يكثر بعد فيتخذن الوطاب.

(٥) سُئل رائد عن الغيث فقال : خلّفت أرضاً تظالمُ معزاها ، وذلك لأشرها بعد الشبع من المرعى فهي تتناطح وتتظالم .

ثم سألَ رجلاً من أهل فارس فقال : نَعمْ ، ولا أُحسن كما قال هؤلاء ! إلاّ أني لم أزلْ في ماء وطينٍ حتّى وصلتُ إليك .

قولُهُ (غُيّبت الشِّفارُ) يُريد أخصبَ الناس فلم يذبحوا الغنَم والإبل ، و (أُطْفِئت النّـار) كذلك أيضًا و (تَشكّت النّساء) و (تَظالمتِ المِعْزى)[1] في المَرْعى : في الكلأ .

٢٥ ـ أخبرنا أبو حاتمٍ عن أبي عُبَيدة قال : سألَ سليمان ابن عبدالملك أعرابيًا عن المَطَر فقال[2] :

أصابَنا مَطرٌ انْعقدَ منه الثّرَى واسْتَأصلَ منه العِرْقُ ولم ترَ واديًا دارئًا[3] .

٢٦ ـ أخْبَرنا أبوحاتم وعبدُ الرّحمن عن الأَصمعيِّ قالَ : قالَ : كان أعْرابيٌّ ضَرير تَقودُه ابنتُهُ . وهي تَرْعَى غُنَيْماتٍ

(١) أسقط الناسخ جملة (وتشكّت النساءُ) مع شرحها ، وقد مرّ الشرح بنا قبل أسطر .

(٢) سيأتي في الخبر (٢٨) أن سليمان سأل سريعاً مولى عمرو بن حريث الذي حفظ قول اعرابي في المطر .

(٣) وفي الهامش : (دارئًا) أي دافعـًا لم يكن كبيراً ، قال موهوب : والكبير يوصف بالوقوف .

لها ، فرأتْ سحاباً فقالت : يا أبه[١] ، جاءتكَ السّماء ، فقال : كيفَ تَرَيْنَها ؟ قالتْ : كأنّها فرسٌ دَهماءُ تَجرُّ جلالَها ، قال : ارعَيْ غُنَيماتكِ ، فرَعت مَليًّا ، ثم قالت : ياأبَهْ ، جاءتكَ السماء ، فقال : كيفَ ترينها ؟ قالت : كأنّها عينُ جملٍ طَريفٍ ، قال : ارعَيْ غُنَيماتِكِ ، فرعت مَليًّا ثم قالت : ياأُبَهْ ، جاءتك السّماء ، فقالَ : كيف تَرَيْنَها ؟ قالت : سَطّحتْ[٢] وأبيَضّتْ ، قال : أدخِلي[٣] غُنَيماتِكِ ؛ قال فجاءت السّماء بشيءٍ[٤] شَطأَ لهُ الزّرْعُ وأيْنَعَ ، وخَضُرَ ونَضُرَ .

---

(١) نداء لأبيها ، وعربنا بفلسطين يقولون : يابَهْ ، بتسهيل الهمزة وهو جائز ؛ وفي اللّيدنية : يا أبتِ .

(٢) لعلها بمعنى امتَدّت ، وفي الهامش فوق (سطحت) سمطحت ح ، وفي اللّيدنية (سطحت) بدون تشديد .

(٣) وفي الليدنية : (أخلي) ، وروايتنا أفصح وأوضح .

(٤) التنكير هنا للتكثير .

٢٧ ـ أخبرنا عبدُ الرحمٰنِ عن عَمِّه[1] قال : بَعَثَ قوم رائداً ، فقالوا :

ــ ما وراءك ؟ فقال :

ــ عُشْبٌ وتعاشيبُ ، وكَمْأَة مُتَفَرِّقَةٌ شِيبُ ، تقلعها بأَخفافِها النِّيبُ .

٢٨ ــ أَخبرنا أبوحاتمٍ عن أبي عُبيدةَ قال : بَعَثَ يَزيدُ ابنُ المَهلَّبِ سَريعًا مولىَ عَمروٍ بن حُرَيث إلى سليمان بن

(١) وفي كتاب الأزمنة (٢/١٣٩) : أخبر به ابن كناسة ، وفيه (تندسها) بدل (تقلعها) . وابن كناسة هو محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المازني الأسدي الكوفي من شعراء الدولة العباسية ، كان عالماً بالعربية وأيام الناس وهو راوية الكميت وابن اخت ابراهيم بن أدهم الزاهد (١٢٣ــ٢٠٧) وجاء هذا الخبر في المخصص (١٠/١٧٦) وفيه زيادة . وهي ان القوم الذين بعثوا الرائد قالوا له بعد قوله (تندسها بأخفافها النيب) : هــذا كذب ! وأرسلوا آخر فقالوا ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ ثأد مأد ، مَوْلِيٌّ عَهْد ، مُتدارك جَعْد ، كأفخاذ بني سَعد تشبع منه النابُ وهي تعدو ؛ وقوله (ثأد) أي رَطب ، و (مأد) الذي ينثني من نعمته ، والمتدارك الذي لحق آخره بأوله ، والناب الناقة المسنة .

عبد الملك، قال سَريع : فعلمتُ أنه سَيسألني [١] عن المطر ،ولم أكُنْ أرتقُ بين كلمتين ، فدعَوت أَعرابيًّا فأعطيته درهمًا ، وقلتُ له : كيفَ تَقولُ إذا سُئلتَ عن المطر ، فكتبتُ ما قالَ : ثم جعلتُه بيني وبين القَرَبوسِ [٢] حتى حفظتُهُ ،

فلمّا قدمتُ قرأ كتابي ، ثم قالَ : كيفَ كان المطر ؟ فقلت : ياأميرَ المؤمنين : عَمِدَ الثّرى ، واسْتأصَلَ العِرْقُ ، ولم أرَ واديًا دارِئًا ، فقال سُليمان : هذا الكلام [٣] لستَ بأبي عُذْرِهِ ، فقلتُ : بلىَ ! قال : اصْدُقني ، فَصَدَقتُهُ ، فضَحك حتّى فَحَصَ الأَرضَ [٤] برجليه ، ثم قال : لَقيتَه واللهِ ابنَ بَجْدَتها : أيْ عالِمًا بها .

(١) في الليدنية : يسألني .

(٢) عن ابن دريد في كتابه (صفة السرج واللّجام) : والقَرَبوس من السّرج في وزن فَعَلول وهما مقدّمه ومؤخّره ، قلت : ويُعلّق بالخشبة البارزة من مقدّمه عنانُ الفرس ، ولا يزال في الشام معروفاً بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا .

(٣) في الليدنية : هذا كلام .

(٤) وفي الليدنية : فحص برجليه ، وهذا التعبير من قولهم : فحَص الدجاج أو القطا في الأرض : إذا بحث برجليه ليتخذ أفحوصاً ، والذي يغمره الضحك يفحص برجليه فحصَ الدجاج .

٢٩ — أَخْبَرني أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ[١] قال : سُئل أعرابي عن المطر فقال :

ــ أَخذَتْنا السّمائد بدَثٍّ[٢] يؤذي المُسافِرَ ولا يُرضي الحاضرَ[٣] ، ثُمَّ رَكَّلَتْ ثم رَسَّغَتْ[٤] الزُّبَى ، ثم خَنَّقَتِ الزُّبَى فأَرَبّتْ[٥] أن تملأَها ، ثمّ غَرَّقَت ، ثم أَخذَنا جارُ الضَّبُعِ ، فلو قذَفتَ في الأَرضِ بَضْعَةً لم تُقِضّ[٦] : أيْ لم يُصِبْها قَضَضٌ لكَثرةِ النَّدَى . قولُهُ (خنَّقت الزُّبى فأَرَبّت أن تَملأَها) أيْ مَلأَتها .

---

(١) وجاء هذا الخبر مختصراً في الأزمنة (٢/١٣٤) .

(٢) وفي الهامش فوقه : مطرٌ ضَعيفٌ .

(٣) وفي الأزمنة : لا يرضي الحاضر ويؤذي المسافر و (ركّك) الركّ : مطر أكثر من الدّث ، و (رسغت) أي كثر المطر حتى غاب الرسغ .

(٤) وفي الهامش : بلغَ الثّرى الأرساغَ : أي غاص الماء في التّربة بمقدار الرّسْغ ، وفي الليدنية : ثم رسّغت ثم خنقت ، وروايتنا أكمل وأفضل .

(٥) وفي الليدنية : فأرنّت وهو تصحيف ، وكذلك جاء في التفسير .

(٦) وفي الليدنية : لم تقَصّ .

٣٠ — أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العَلاء[1] قال ذو الرُّمّةِ : قاتلَ اللهُ أمةَ بني فلانٍ ما أعْرَبها ! سألتُها عن المطر فقالت : غِثْنا ما شِينا[2] : أي أصابنا الغَيثُ .

---

(١) وجاء هذا الخبر في ديوان المعاني للعسكري (٢/٧) قال : ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الأعرابية التي سألها ذو الرمة عن الغيث فقالت : غثنا ما شئنا ، فكان ذو الرمة يقول : قاتلها الله ما أفصحها ! وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

الا يا اسلمي يا دارَ ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ

فقيل له : هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ، لأن القطر إذا دام فيها فسدت ، والجيّد قول طرفة :

فسقى ديارَكِ غيرَ مفسدها صَوبُ الربيع وديمة تهمي

قلت : وجاء في حديث رُقيقة : ألا فَغِثتم ما شئتم ! أي سقيتم الغيث . ونحن – كما بدأ ابن دريد كتابه هذا ببركة الحديث – قد ختمناه به ولله الحمد أولاً وآخرا .

(٢) وفي الليدنية : (ما شئنا) بالهمز ، وفي نسختنا بتسهيله .

تمَّ الكتابُ

بحمد الله ومَنّه وحسن تَوفيقه وسابغ نِعمه ، وكتَبَ الحسيْن
ابن عليّ بن محمّد بن عليّ الكاتب بخطّهِ في شهر رمضان
سنة خمسٍ وخمسين وأربع مائة ، ونقلتُ من نسخةٍ
مَقروءةٍ على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافيّ
وفيها خَطّه لِقراءتها عليه ؛ وهو يسأل
الله تعالى ذكره التوبةَ والمغفرةَ وحسنَ
الخاتمة وجميلَ المنقلب له ولكافة
المسلمين إنّه جَوادٌ
كريم

ذيل الكتاب

يشتمل على فوائت من أخبار الرُّوّاد والأمطار

قال تعالى في كتابه العربيّ المبين :

(أَلَمْ تَرَ أنّ الله يُزجي سَحابًا ثمَّ يُؤلِّفُ بينَه ثمّ يَجعلُه رُكاماً فَتَرى الوَدْقَ يخرجُ من خلالِهِ ويُنزّلُ مِنَ السّماءِ مِن جبالٍ فيها من بَرَدٍ فَيصيبُ به مَن يَشاءُ ويصرِفُه عمّنْ يَشاءُ يَكادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصار) النور ٤٣ .

١ ــ حكى الأَصمعي في صفة رائد : هو شديد الناظر سديد الخابر ينظر بملء عينه لنفسه ولغيره (الأَزمنة ٢/١٣٢) .

٢ ــ ونعتَ أبو المجيب أرضًا أحمدَها فقال (المخصّص ١٠/١٨١) : أَخْلَعَ شيحُها ، وأبقلَ رِمْثُها ، وخَضَبَ عَرْفَجُها ، واتّسَقَ نَبتُها ، واخضرّتْ قُريانُها ، وأخوَصتْ بُطنانُها ، واستحلَسَتْ إكامُها ؛ واعْتمّ نَبتُ جراثيمها ، وأجرَتْ نَفَلتُها ، ودَرْهمتْ فَنَتُها وخُبّازتُها ، وأحوَرّتْ خواءِرُ إبلِها ، وشكِرَتْ

حَلوبتُها ، وسَمِنَت قتُوبتُها ، وعَمِد ثَراها ، وعَقِدَت تناهيها ، وأماهَت ثمادُها ، ووثِقَ الناسُ بِصائرِتها .

٣ ــ وقيل لابنة الخس : ما أحسنُ شيء ؟ قالت : غاديةٌ في إِثر سارية ، في نَجاء قاوية ، ورُوي : في نفخاء رابية ؛ فالنّجاء أرضٌ مرتفعة لأَنَّ النبتَ في أرض مُشْرَفة أحسَنُ . قلت : فالنَّجاء والنجوة ما ارتفعَ من الأَرض فلم يَعلُه السيل فظننتَه نَجاءكَ ، والجمع نِجاء بكسر النون ، وقوله تعالى : « فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِك » أي نجعلُك فوقَ نَجوة من الأَرض فنظهرك للناس ؛ و (قاوية) أي مجدبة لم يُصبها مطر ، وليس بها كلأ ، وسنة قاوية : قليلة الأَمطار ؛ و (النّفخاء) التي ليس فيها رمل ولا حجارة فهي تَرِبَة ، والجميع نفاخي ، ونبت الرابية أحسنُ من نبت الاودية ، لتعرّضه للشمس كثيرا . . .

٤ – وقالت ابنةُ الخس أيضًا : احسنُ شيء ساريةٌ في إِثرِ غادية في روضة أُنُف أُكِلَ منها وتُرِك .

٥ – وقيل لأَعرابيّ : أيُّ مطرٍ أصابَك ؟ قالَ : مُطَيرةٌ تُسِيل شِعابَ السَّخْبَر ، وقد حَنَأَتِ الأَرضُ ، ويُروَى : تُسيل شِعابَ

التَّلعة المُحلَّة، و(شعاب السَّخبر) عَرضها ضيق وطولها قدر رمية الحجر، والسخبر كما قال أبو حنيفة: يُشبه الثمام له جرثومة وعيدانه كالكُرّاث في الكثرة كأنَّ ثمرَه مكاسحُ القَصب أو أرقّ منها، وإذا طال تدلت رؤُسه وانحنت، و (المُحِلّة) التي تُحِلّ فيها البيوتَ، و (حَنَأَتِ الأَرض): اخضرّت والتفّ نبْتها.

٦ — قال الأَصمعيّ قيل لرجل: كيفَ وجدتَ ارض بني فلان؟ قال: وجدتها أرضاً شَبِعت قَلوصُها ونُسِيت شاتُها، قال: فهلْ مع ذلك خُوصة؟ قال: شيءٌ قليل، قال: والله ما أحْمَدْتَ، وإن كان القومُ صالحين.

قالوا وكل ما خرجَ من الارض عُودٌ ثم قَويَ فهو خُوصة.

٧ — قال ابن الاعرابيّ بعثَ قومٌ رائداً لهم، فقالوا: ما رأيت؟ قال: رأيت جَرادًا كأنه نعامة جاثمة! وتفسيره: (جَراد) اسم جبل وجمعه (جُرادى) كفرادى في المخصص (١٠/١٧٦). يقول فيه من الخِصب والعُشب الكثير حتى كأنه نَعامة، وإنما أراد سوادَ العُشب، وأعْلى النعامة أسود.

٨ — وبعث آخرون رائداً لهم فقالوا: ما رأيت؟ قال:

رأيت عُشبًا تَيْجع له كَبِدُ المُصرِم . قلتُ : المُصْرم مَن بَقيت له من إبله صِرْمَة ، القطعة ما بين العشرة والعشرين أو الثلاثين ، وفي لسان العرب (صرم) ويقال : كلأٌ تَيْجعُ منه كبدُ المُصرِم : أي إنه كثير فإذا رآه القليل المال تأسّفَ أن لا تكون له إبل كثيرة يُرعيها فيه .

٩- وسأل أبو زياد الكلابيّ صَقيلاً العقيليّ حين قدم من البادية عن طريقه؟ فقال : انصرفتُ من الحج فأصعدتُ إلى الربذة في مَقاطّ الحَرّة ، فوجدتُ بها صِلالاً من الربيع من خَضيمة وصِلّيان وقَرمل حتى لو شئت لأنخت الإبل في أذراء الفَقْعاء فلم أزل في مَرعًى لا أمسّ منه شيئاً حتى بلغت أهلي .

قوله (صِلالاً) أي أمطارًا متفرقة ، و (الخضيمة) كما يصف أبو حنيفة : النبت إذا كان رطبًا أخضر قال : وأحسب سمي خضيمة لأن الراعية تخضمه كيف شاءت ، و (الصليان) نبت له سنمة كأنها رأسُ القصب ، إذا خرجت أذنابها ، تجذبها الإبل ، والعرب تسميه خبزة الإبل ، و (القرمل) قال أبوحنيفة : القرملة شجرة ترتفع على سويقة قصيرة لا تستتر ، ولها زهرة صَغيرة

شديدة الصفرة ، و (الفَقْعاء) كما يقول الأزهري من أحرار البقول يقال لها كفّ الكلب رأيتها بالبادية ولها نَور أحمر ؛ يقول صقيل العُقيليّ إنه وجد أرض الربذة قد أخصبت وعظم نباتُها حتى صارت تستر البعيرَ البارك . المخصّص (١٧٧/١٠) .

١٠ ـــ قال النبي ﷺ لأصيل الخزاعي حين قدم المدينة : كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أحجنَ ثمامُها ، وأغدق إذخِرها وأمْشَرَ سلَمُها ، فقال : يا أصيل ، دعِ القلوب تقرّ !

١١ ـــ بعثَ شيخٌ ابنين له يَرتادان ، فانصرف إليه أحدُهما فقال له الشيخ : حلّ عليّ ، ما وجدتَ ؟ قال : (ثأدٌ مأد) مَوْليٌّ عَهْدٍ (تشبع منه النّاب وهي تَعدو) . وقفرٌ تُغنّى مكاكيه ، فلبثَ ولم يظعن حتى أتاه الآخر فقال : وَجدتُ الحيا ، فقال : حيًا ماذا ؟ فقال : حَيا العامِ وحَيا عام مُقبلٍ ، فقال الشيخ : حلّ عَليّ ، ما وجدتَ ؟ فقال : وجدتُ (بَقلاً وبُقيلا) وسَيْلاً وسُيَيلا ، خوصةً مثل الليل ، قد رَبّ ما تحتَ هُنا كم السَّيْل ، قال : بهِ أحدٌ ؟ قال : نعم ، بهِ بنو الرجل لا يوجد أثرهم ، قال : فلم يَشُكّ بنوه أن الشيخ ظاعن ، إلى ما أخبره به ابنه الأول ،

فلما أصبح تحمّل جهةَ ما أتاه به ابنُه الأخير ، ففزع بنوه . وقالوا : أُهْتِرَ الشيخُ . فقالوا له : أتذهب إلى أرض بها الناسُ، وتَدع أرْضاً قفراً لا يَرْعى بها معك أحد ؟ قال : إن تلك طفوة لأَول حَنَك ، وقد وصف أخوكم هذا الآخر حَيا العام وحَيا عام مقبل : ما يَبقى من يَبيس هذا العام فمضى واتّبعوه .

وتفسيره: قوله (تَأْدٌ مأدٌ) وفي خبر ابنة الخس [ثَعْد مَعْد] على الإبدال والإتباع ، وتبادل الهمز والعين كثير معروف ، واللفظ الثاني منهما اتباع لتوتيد الأول ، وقوله : [تشبع منه الناب] جاء في كلام ابنة الخس ومعناه : أن الناب لطول هـذا النبات واتصاله لا يحتاج إلى أن يطأطىء البعير رأسه؛ والمكاكيّ والواحد مُكّاء: طائر في ضرب القنبرة إلا أن في جناحيه بَلَقاً ووزنه فُعّال من مكا يمكو إذا صفر ، والُمكاء : الصفير قال تعالى : (وما كان صَلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتصديةً) ، وقوله: (بقلا) يريد وسميًّا كان مطره قبل الشتاء و(بُقيلا) كان من مطر بعد ذلك ، و (سَيلا) كان من الوسمي و (سُيَيْلا) كان بعد ذلك ، وهو الذي ينبت منه البقيل .

أُلحوظة : إن هذا الخبر قد مرّت منه جمل في خبر ابنة الُخس الثالث عشر ، وقد وضعناها بين حاصرتين ، وأكثره مخالف لخبرها مع اختلاف راويهما ، ولذلك أثبتناه هنـــا بنص المخصّص (١٧٦/١٠) .

١١ ــ روى أبو بكر الهذليّ عن الشعبيّ وكان حاضراً عند الحجاج مع عبد الملك بن عُمير ، ويظهر أن الشعبي كان أحفظ من عبد الملك ، قال :

روى الشعبي عن بُرُدٍ (جمع بريد) وردوا على الحجاج ، قال : جاءه الحاجب فقال : إنّ بالباب رُسُلاً ، فقال : إئذَنْ لهم ، فدخلوا وعمائمهُم في أوساطهم ، وسيوفُهم على عواتقهم ، وكتبهم في أيديهم ، قال : فتقدّم رجل من سُلَيم يقال له : سيابة ابن عاصم ، فقال الحجّاج : من أين أقبلتَ ؟ قال : أقبلتُ من الشام ، قال : هل وراءكَ غيث ؟ قال : نعم ، أصابتني ثلاث سحائب فيما بيني وبين أمير المؤمنين ، قال : فانعتهن لي ، قال : أصابتني سحابة بجوذان فوقع قطرٌ صغار وقطرٌ كبار فكان الصغارُ لحمةً للكبارِ ، ووقع بسيط متدارِك ، وهو الشحُّ الذي سمعتَ

به ، فوادٍ سائح ووادٍ بارح ، وأرض مقبلة وأرض مدبرة ، ـ أي أخذ السيل في كل وجه ـ وأصابتنا سحابة بسواد فلبّدت الدّماث [واسالت الغراز (الاكام) وأدحضت التلاع] وصدعت عن الكمأة أماكنُها ، وأصابتني سحابة بالقريتين ففاءت الأرضُ بعد الرّيّ وامتلأت الإخاذُ وأفعمت الأودية [وجئتك في مثل مَجَرّ الضّبع] ! .

ثم قال (الحجاج) إئْذَنْ ، فدخل رجل من بني أسد فقال : هل كان وراءك من غَيث ؟ فقال : لا ، كثرت الأعاصير ، واغبرّت البلاد ، وأُكل ما أشرفَ من الجنبة ، فاستيقنّا انه عام سَنةٍ ، فقال : بئس المخبر أنت ! قال : خبّرتكَ بما كان .

ثم قال : إئذنْ ، فدخل رجل من اهل اليمامة ، فقال : هل وراءك (من غيث) ؟ قال : نعم ، سمعتُ الرُّواد تدعو إلى ريادته ، وسمعتُ قائلاً يقول : [هلمّ أظعنكم إلى مَحلةٍ [تطفأ فيها النيران] وتشكّى منها النساء [وتنافِس فيها المِعْزى] .

قال الشعبيّ : فلم يدر الحجاج ما يقول ، قال : ويحكَ انما تُحدث أهل الشام فأفهمهمْ ، قال : نعم ، أصلح الله الأمير !

أخصب الناس فكان السمن والزّبد واللّبن فلا توقد نار يختبز بها ، وأما (تشكّي النساء) فإن المرأة تظلّ تربّق بَهمها وتمخض لبنها تبيت ولها أنينٌ من عضديها ، قال : وأمّا (تنافس المعزى) هنا بياض بالأصل ولعله : تنافسها وتظالمها في المرعى والكلأ كما فسر بذلك ابن دريد في الخبر (٢٤) .

قلتُ : وقد مرّ بنا حديث الحجاج هذا في الخبر (٢٤) من الكتاب مختصراً ، فآثرنا نشره هنا برمته إيثاراً للفائدة ، ونقلناه من كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١٤١/٢) .

١٢ ــ قيل لرجلٍ من العَرب : ما أخْصبُ ما رأيتَ بالبادية ؟ قال : رأيتُ الكلبةَ تَمرّ بالخَصَفة عليها الخُلاصَة فيشُمُّها فيتركها ، ويذهب لا يَعرِض لها ، (المخصّص ١٠/١٧٨) .

التفسير : قال ابن سِيده : الخُلاصَة ما يبقى في البُرْمة إذا أُذيبَ فيها الزُّبد وخُلِّصَ منها السّمنُ ، ويخلّصونه بدقيق يُلَتُّ بالسّمن ويُطْرح ، ويَصفو السمنُ بذلك ويَخلُصُ ، فتلك الخُلاصةُ والإخلاصة والقِشْدة ، يقول (الرجل) لصاحبه (أخلصتُ لكَ) أي جعلت الإخلاصة لك من زبد وتمر

وغـــيره ، فإذا لم يعرض الكلب للإخلاصة دَلّ ذلك على شبعه وخصبه .

١٣ ــ وبَعث قومٌ رائداً لهم ، فلمّا رَجع إليهم قالوا له : ما وراءكَ ؟ قال : رأيت بقلاً شبع منه الجملُ البَروك ، وتشكّت منه النساء ، وهَمّ الرجلُ بأخيه ، قال (القوم) : لم يَطُلِ العُشبُ بَعدُ ، فإذا قام البعيرُ قائماً لم يتمكّن منه أرادوا : (أنّ البعير طويل والعُشب قصير) ؛ وقيل فيه سوى هذا ، فذهبوا به إلى صفة اعتمام العُشب وكثرته ، قالوا : من كثرته أن الجملَ إذا بركَ فيه شبعَ مما حوله في مَبركه ولم يحتج إلى أكثر منه ، وقوله : (تشكت النساء) أي اتخذن الشّكاء الصغار لأنّ اللّبن لم يغزر بعدُ ، وقد فسّرناه قبلا ؛ وقوله (همّ الرجلُ بأخيه) كقولهم تظالمت المعزى من فرط الشبع وأَشرِ الخصبِ ، وكما قال الشاعر :

يا ابنَ هشامٍ أهلكَ الناسُ اللبّنْ فكلُّهم يَعدو بقوسٍ وقَرَنْ

يقول : أخصبوا فهمّ الرجل بالفتك بأخيه وكان الجدبُ قد شغَلهم .

١٤ ــ وقال رائد : تركتُ الأرضَ مُخضرّةً كأنها حِولاء ، بها قصيصة رَقطاء ، وعَرْفجةٌ خاضبة ، وعَوْسَج كأنه النّعام من سواده : المخصّص (١٠/١٧٦) .

تفسيره : قال ابن سيده : الحِوَلاء قد مضى معنى التشبيه بها ، والقَصيصةُ واحـدة القصيص وهو نبات يكون أبدًا بقُرب الكَمأة ، وبه وبالإجْرذ يُستدلّ عليها ، والقصيصة رَقْطاء ، وخُضوبُ العَرفج اسودادُه إذا بَدأ ينبت ؛ وقوله (كأنه النّعام) شبيه بقول الآخر : تركت جُرادى كأنها نعامة باركة ، يريد بها كثرة العُشب وسواده ، وشدة الخضرة سَواد ، يقال : عُشب أحوى ومُدْهامٌ ومظلم .

١٥ — وقال آخر رأيت ببطنِ فَلْجٍ منظرًا من الكَلأ لاأنساه : وجدتُ الصّفراء والخُزامى تضربان نحُورَ الإبل ، وتحتهما قَفْعاء ، وحُرْبُث قد أطاعَ وأمسكَ بأفواه المال ، وتركتُ الحُوران ناقعة في الأجارع (المخصص ١٠/١٧٧) .

التفسير : قوله (بطن فَلج) قال ابن سيده : فَلْجٌ موضع بين البصرة وضَرِيّة مذكر ، وقيل لطريق يأخذ من البصرة إلى اليمامة أو إلى مكة طريق بطنِ فلجٍ قال الأشهب بن رُميلة وهو بيت حماسي :

وإن الذي حانت بفَلْجٍ دماؤهم   همُ القومُ كلُّ القوم يا أمّ خالدِ !

قال الأزهري : (القَفعاء) من أحرار البقول رأيتها بالبادية ولها نَوْر أحمر و (حُرْبُث) قال أبو حنيفة . الحربث نبت ينبسط على الأرض له ورق طوال بينها ورق صغار ، وقال الأزهري هو من أطيب المراعي ؛ وقوله (أمسك بأفواه المال) أي لا تتركه الإبل لطيبه ، وقال أبو حنيفة : من مُطمئنّات الأرض الحائِر ، وهو المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف وجمعه حِيران وحُوران ، وإذا نقعت الحوران في الأجارع فذلك غايةُ رِيّ الأرض لأن الأجارع أشرَبُ للماء ، وإذا نقع الماء في الأَجارع غرقت الأجالدُ .

١٦ — قال أبو هلال العَسْكريُّ في ديوان المعاني (٩/٢) :

ومن أجود ما قاله مُحدَثٌ في وصف السحابِ والقطرِ والرّعدِ والبَرقِ ما أنشدناه أبو أحمد (العسكريّ) عن نفطويه للعَتّابيّ :

أرِقتُ للبرق يَخفُو ثمّ يأتلقُ يُخفيه طَوْراً ويُبديه لنا الأُفُقُ
كأنّه غُرّةٌ شَهْباءُ لائحــــةٌ في وجهِ دَهماءَ ما في جِلْدِها بَلَقُ
أو ثَغْرُ زِنْجيةٍ تفترّ ضاحكةً تبدو مَشافِرُها طَوراً وتَنطَبقُ
أو سَلَّةُ البيضِ في جَأْواءَ مُظلمةٍ وقد تَلاقَتْ ظُباها البِيضُ والدَّرَقُ

والغَيمُ كالثّوب في الآفاقِ منتشِرٌ من فَوقهِ طَبَقٌ من تَحته طَبَقُ
تظنهُ مُصْمَتًا لا فَتقَ فيه فإنْ سالتْ عواليه قلتَ الثوبُ مُنْفَتِقُ
إنْ معْمَعَ الرَّعْدُ فيه قلتَ: ينخَرِقُ أو لألأ البَرق فيه قلتَ: يَحترِقُ
تَستَكُّ من رَعدهِ أُذنُ السميع كما تَعْشَى إذا نظرت من بَرقهِ الحَدَقُ
فالرّعدُ صَهْصَلِقٌ والرّيحُ مُنخَرِقٌ والبَرْقُ مؤتَلِقٌ والماءُ مُنْبَعِقُ
قد حالَ فوقَ الرُّبى نَوْرًا له أَرَجٌ كأنّه الوَشْيُ والدّيباجُ والسَّرَقُ
من صُفرةٍ بينَها حَمراءُ قانِيةٌ وأَصفرٌ فاقِعٌ أَوْ أَبيضٌ يَقَقُ

عز الدين التنوخي